لغز الساق الخشبية



محمود سالم

لغز الساق الخشبية

تأليف
محمود سالم



لغز الساق الخشبية

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٣٨٩ ٦

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٢.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

المحتويات

قطّة صغيرة خائفة

كانت ليلة من ليالي شهر فبراير الباردة، وقد هبط الظلام مُبكِّرًا على المعادي، وفتحت السماء أبوابها فهطل مطرٌ غزيرٌ، أجبر أكثر النَّاس على الذهاب إلى منازلهم مبكرين ... وأغلقت المحالُّ أبوابها، فخلت الشوارع. وسكتت الأصوات إلَّا من صوت المطر يدقُّ الأرض في رتابة وعنف.

وتجاوَزَت الساعة العاشرة والنِّصف، و«نوسة» لم تنَمْ بعدُ؛ فقد كانت تُمسِك بكتابٍ شيِّق، شدَّتها سطوره، فمضَت تقرأ بدون أن تحسب للوقت حسابًا ... أما شقيقها «محب» فكان نائمًا مستمتعًا بالدفء، وصوت تنفُّسِه المنتظم يدلُّ على أنه مستغرق في نومٍ عميقٍ.

وكان يلذُّ لـ «نوسة» أن تَشردَ عن الكتاب أحيانًا، وتَستمع إلى صوت المطر، وهو يدقُّ النَّافذة ... وتسرح بخيالها تتصوَّر المطر ينزل في أماكنَ أخرى. وفي لحظة بدا لها أنها تسمع صوت قطَّةٍ تمُوء في مكانٍ ما، ثم ارتفع صوت المواء، وتأكَّدت «نوسة» أن هناك قطَّةً تبحث عن مأوًى يَحميها من المطر ... وأخذت تُنصت، وهي تتبع الصوت في السكون الشامل حتى تأكدت أنه يصدر من حديقة منزلهم ... وكان واضحًا أنها قطَّةٌ صغيرة.

وضعت «نوسة» الكتاب جانبًا، وأخذت تستمع وهي تفكِّر فيما يجب أنْ تفعله ... أتترك القطة الصغيرة تحت رحمة المطر والبرد والظلام، أم تمدُّ لها يدَ المساعدة؟! ولم تتردَّد «نوسة»، فسحبت الروب ولبسته مسرعةً، ثم انسحبت تنزل بهدوء!

كان بهو المنزل مُظلمًا ... إلَّا من ضوءٍ خفيفٍ يصدر من اللمبة السهَّاري الصغيرة، فأضاءت النور، ثم دخلت المطبخ، وفتحت الباب الخلفي، ثم خرجت إلى الحديقة الغارقة في الظلام ... لكن «نوسة» استطاعت أنْ ترى على ضوء مصابيح الشارع الخلفيِّ بعض تفاصيلِ الحديقة ... وكان صوت القطة يَصدُر من قرب السور، فاتَّجهت إليه ... وأخذت

تقترب منه تدريجًا، وهي تُنادي: بسبس ... بسبس ... بسبس! وفي تلك اللحظة سمعت صوت شيء يدقُّ على أرض الشَّارع ... صوتًا مُنتظمًا كأنَّ شخصًا يمشي ويدقُّ الأرض بعصاه ... ونظرت إلى حيث يأتي الصوت، فرأتْ على بُعدِ نحو عشرة أمتارٍ رجلًا يَمشي بلا عصًا، لكن إحدى قدميه كانت تصدر هذا الصوت الغريب ... ثم سمعَت صوت سيارة تقترب ... حتَّى وقفت بجوار الرجل الذي كان يلبس معطفًا أسودَ ...

وفجأةً نزل من السَّيَّارة ثلاثة رجالٍ انقضُّوا على الرجل بسرعة، وأخذوا يدفعونه نحو السَّيَّارة ... كان الرجل يُقاوم، لكنه لم يَستنجِد ... لم يُطلِق صيحة واحدة ... ولم تعرف «نوسة» أكَتَم الرجلُ فمَه ... أم أنَّه لم يُحاول طلب النَّجدةِ؟ ... ولم تَطُل مقاومته طويلًا، فقد استطاع الرِّجال الثَّلاثة أن يضعوه في السَّيَّارة عنوةً ... ثم مضت السيارة تشقُّ طريقها مسرعة تحت المطر واختفت في الظَّلام!

كانت «نوسة» مُندهشة لكلِّ ما حدث ... حتَّى إنِّها نسيت أنَّها واقفة تحت المطر، وأن ثيابها قد ابتلت ... فقد كان هناك شيء سقط من الرجل أو ألقاه هو عمدًا ... ورقة بيضاء كانت واضحةً في ظلمة الشارع ... وعلى الأضواء البعيدة للفوانيس ... وبإحساس المغامر ... فتحت «نوسة» باب الحديقة، وانطلقت إلى الشارع حتَّى وصلت إلى مكان الورقة، فانحنَت والتقطتها ... وتلفَّتت حولها ... لم يكن هناك أحد مطلقًا ... وهكذا استدارت وعادت مسرعة.

كانت قد نسيت في هذه اللحظات المتوتِّرة القطة الصغيرة ... لكن مواء القطة نبَّهها إليها، فوضعت الورقة في جيبها، ومضت تبحث عن القطة. واستطاعت بتتبع الصوت أن تصل إليها وتحت شجرة صغيرة كانت العينان اللامعتان تبرقان في الظلام ... ومدت «نوسة» يدها نحو القطة الصغيرة، فلم تُبدِ أيَّ مقاومةٍ ... بل استسلمت لليد الحانية التي امتدت إليها.

عادت «نوسة» إلى المطبخ مرةً أخرى، وقد ابتلَّت ثيابها تمامًا ... وعلى الفور أخذت تتأمل القطة الصغيرة ... كانت قطة جميلة من النوع السيامي ذات لون بني فاتح يَميل إلى السواد عند رقبتِها وذيلها ويديها وقدميها ... وكانت تَرتجِف بردًا وجوعًا ...

أحضرت «نوسة» منشفة قديمة، وأخذت تُجفِّف شعر القطة جيدًا وتُدلِّك جسدها حتى جفَّفتها، ثم فتحت الثلاجة وأحضرت كمية من اللبن، وسخَّنته على موقد «البوتاجاز» ووضعت فيه بعض السكر وقطع الخبز ... وبعد دقائقَ قليلة كانت تحمل القطة والطعام إلى غرفتها ...

وسعدت القطة الصغيرة بالدفء ... ومضَت تَلتهِم الطعام الساخن، وهي تموء مواءً خفيفًا هانئًا ... في حين انصرفت «نوسة» إلى تجفيف شعرها المبتل، وتغيير ثيابها وهي ترتجف ... وأفكارها منصرفة عن القطة إلى الرجل ذي المعطف الأسود الذي اختُطف عنوةً في الشارع الخالي بدون أنْ يستنجدَ ... وبدون أنْ يراه أحد ... وأخرجت الورقة البيضاء من جيبها وأصابعها ترتجف أهي ورقة فارغة لا أهمية لها؟ أم ورقة هامة تكشف شيئًا من هذا الحادث الغامض الذي شاءت الأقدار أنْ تراه مصادفةً عندما استدعاها مواء القطة الصغيرة لأداء واجبها الإنساني؟!

لم تكن الورقة بيضاء كما تصورت ... وربما كان بياضُها يعود إلى الظلام الذي كان يسود الشارع ... كانت الورقة قديمةً ولونها يَميل إلى الاصفرار ... وقد ابتلت بفعل المطر وتلوَّثت بالطين ... وكانت مطوية ... فأخذت تفتحها في حرص وحذر حتَّى لا تتمزَّق أطرافها المتآكلة، وبخاصةٍ بعد أنْ بلَّلتها مياه المطر، ولوثها الطين ... وعلى الضوء الساطع في الغرفة استطاعت أنْ ترى أول شيء كان يُهمُّها ... أنَّ الورقة لم تكن فارغةً ... لقد كانت بها كتابة. ولم تكن مكتوبة فقط ... بل عليها رسوم بسيطة عبارة عن خطوط تبدأ من أسفل الصفحة ثم ترتفع، وترتفع، ثم تعود وتنخفض ثم ترتفع ... وعليها أرقام مختلفة:
٣٩ – ٤٠ – ٣٧ – ٤١ – ٣٥ – ٢٧.

وكان هناك رسمٌ آخر يُشبه حرف «ت» الإنجليزي ... خط رأسي متعامد على خط أفقي، ورقمان أحدهما ١٢٠، والثاني ١٠٠، وكلمات بعضها بلغة أجنبية هي في الأغلب إنجليزية.

أخذت «نوسة» تقول لنفسها: إنَّها ورقة غير عادية حقًّا ... ورقة غريبة وبخاصةٍ هذه الخطوط ... وأذكر أنني رأيت ورقة مثلها ... أين؟! أين؟! أخذت تعتصر ذاكرتها ...

وفي هذه اللحظة كانت القطة قد انتهت من طعامها، فقفزت إلى ركبتَي «نوسة» ملتمسة الدفء في هذا الجو البارد ... فمدَّت «نوسة» يدها تربت على ظهرها، ووضعت الورقة على الكومودينو بجوارها وهي تفكر في تجفيفها على نار هادئة ... أو تركها حتَّى تجفَّ.

رفعت «نوسة» طرف غطاء الفراش، ثم اندسَّت فيه، ووضعَت القطة بجوارها، واستسلمت للتفكير في أحداث هذه الليلة العجيبة ... لو كانت قد نامَت مُبكِّرة مثلما فعل «محب» لما حدث شيء من هذا كلِّه ... ما كانت سمعَت مواء القطة ... وما خرجت إلى الحديقة ... وما شاهدت الرجل المخطوف ذا المعطف الأسود ... وما رأت الورقة العجيبة التي لم تفكَّ رموزها بعد!

وعندما وصلت في تفكيرها إلى هذا الحد ... أمسكت الورقة مرة أخرى، وأخذت تتأمَّلُها بدقة زائدة ... وتُقرِّبها من عينيها لتُحاولَ قراءة الكلمات التي شوَّهتها المياه أو طمسها الطين ... إنَّ في رأس الورقة اسم إنسان ... إنَّها تستطيع أن تقرأَ اسم «عبد الغفور» ... أو «عبد الصبور» ... إنَّ كلمة «عبد» واضحة، ولكن الكلمة الثانية أثَّرت عليها المياه فطمستْها ... والكلمة الثالثة لم تكن واضحة أيضًا ... إنها تبدأ بحرف «النون» أو «القاف» وتنتهي بحرف «اللام» ... فهي «نبيل» أو «قابيل» أو اسم ثالث لا تعرفه ... فمن هو «عبد الصبور قابيل» أو «عبد الغفور قابيل» أو «عبد الصبور نبيل» ... أو «عبد الغفور نبيل»؟ ... وهل هو الرجل الذي خُطف في الظلام وتحت المطر منذ ساعة؟ وهل أسقط هذه الورقة متعمدًا أو سقطت منه سهوًا! وماذا تعني هذه الخطوط! وتأملتِ الورقة مرةً أخرى ... هناك أرقام أيضًا ... وهناك كلمة واضحة لا معنى لها ... إنها كلمة «بوحول» ... ماذا تعني «بوحول» هذه؟

أسئلة كثيرة، و«نوسة» مستلقية في الفراش تُفكر ... القطة الصغيرة ... المطر المتساقط خارج النافذة ... العربة ... الرجال الثلاثة ... الظلام ... الورقة ... إنها أشياء مثيرة حقًّا في تلك الليلة المدهشة ... وفكرت «نوسة» أن توقظ «محب» لكنها رأت أنَّ من الأفضل له أن يظلَّ نائمًا ... ففي الصباح سوف يرى كل شيء ... ويسمع القصة منها ... وكذلك سيسمع بقية المغامرين الخمسة، وسوف يشتركون معًا في حلِّ اللغز ... إذا كان هناك لغز ... وتسلل النوم إلى عينيها فنامت، وهي تضع يدها على القطة الصغيرة التي استسلمت هي الأخرى للرقاد بعد أن شبعت وتدفَّأت.

كان الصباح على عكس الليل مُشرقًا وجميلًا ... فقد انقطع المطر وأشرقت الشمس، واستيقظ «محب» مُبكرًا قبل «نوسة»، فجلس في الفراش يتأمل أخته النائمة ... وكم كانت دهشة عندما شاهد عينين لامعتين تبرُقان بجوار أخته، إنهما عينا قطة! متى جاءت هذه القطة؟ وكيف تسللت إلى غرفتهما ... ومن ذا الذي أتى بها؟ لقد نام وليس في منزلهم قطط على الإطلاق، فماذا حدث في الليل؟!

قفز من فراشه بنشاط، وأسرع يحمل القطة الصغيرة التي قاومت في البداية، ثم استسلمت ليده، وحملها على صدره وأخذ يربت على شعرها الناعم، وبعد لحظات تركها ليدخل الحمام.

عندما غادر «محب» الغرفة، قفزت القطة الصغيرة إلى الكومودينو حيث كانت الورقة، وأخذت تعبث بها ثم أسقطتها على الأرض وقفزت خلفها، وأخذت تلعب بها، وتشدُّها هنا

وهناك حتى أدخلتها تحت الفراش ... وعاد «محب» من الحمام، وأخذ يلبس ملابسه، ثم حمل القطة ونزل إلى صالة المنزل، ليتناولَ فطوره ... ولم تَكد والدته ترى القطة حتى سألته عنها فقال: لا أدري من أين أتت، ولا كيف أتت! لقد استيقظت فوجدتها في فراش «نوسة»، ولا بدَّ أنها دخلت ليلًا إلى غرفتنا بدون أن ندري.

الأم: ولكن كيف دخلت إلى المنزل؟ لقد أشرفتُ بنفسي على إغلاق جميع النوافذ والأبواب.

محب: لا بد أن أحدًا منَّا قد استيقظ ليلًا وخرَج إلى الشارع وعاد بها.

الأم: غير معقول ... لقد كانت السماء تُمطر أمس، ولا أظن أن هناك أحدًا يغامر بالخروج إلى الشارع في المطر والظلام.

ولم تكد الأم تنتهي من جملتها حتى شاهدت «نوسة» تنزل سلم الفيلا مُسرعة وهي بملابس النوم، وبدون أن تُلقي تحية الصباح صاحت: أين القطة؟ أين الورقة؟

رفع «محب» القطة بين يديه قائلًا: أنت إذن التي أحضرت القطة!

نوسة: نعم.

محب: كيف؟

نوسة: سأروي لك كل شيء، لكن أين الورقة؟

محب: أي ورقة؟

نوسة: الورقة التي كانت على الكومودينو بجوار فراشي!

محب: لم أرَ أوراقًا على الكومودينو!

نوسة: أرجوك يا «محب» إنَّ وراء هذه الورقة لغزًا هامًّا.

الأم: لغز ... ألا تكفُّ أنتَ وأصدقاؤك عن الجري وراء الألغاز والمغامرات!

نوسة: أرجوك يا «محب» أين الورقة؟

محب: قلت لكِ إنني لم أرَ ورقًا!

وأسرعت «نوسة» إلى غرفتها، وأسرع «محب» خلفها، وأخذ الاثنان يبحثان، و«نوسة» تصف له الورقة الهامة بدون أن تقول له ماذا حدث في الليل؛ فقد كانت تريد أن تروي القصة كاملة للأصدقاء.

مائدة في الشمس

حول مائدة شاي في الشمس جلس المغامرون الخمسة ... كانت «نوسة» قد عثرت على الورقة ممزَّقة تحت فراشها ... لكنها استطاعت — اعتمادًا على ذاكرتها — أن تجمع الأجزاء الممزقة بمساعدة الأصدقاء ... وهم جميعًا مندهشون لاهتمامها بالورقة ... فلم تكن قد قالت لهم حكايتها بعد.

وبعد أن أصبحت الورقة كاملةً تقريبًا ... اعتدلت «نوسة» في جلستها، ثم بدأت تروي ما جرى في الليل ... القطة الخائفة الصغيرة ... الرجل الذي خُطفَ في صمتٍ بدون أن يستنجدَ ... الطَّرقات التي سمعتْها على الأرض، برغم أن الرجل لم يكن يحمل عصًا، وإن كان يعرج في مشيته ... والورقة التي أسقطها أو سقطت منه بدون أن يَدري ...

روت «نوسة» كل شيء كما شاهدته بدقة ... وبقية الأصدقاء يستمعون إليها، وقد أرهفوا آذانهم في اهتمام شديد ... فقد كانت قصة مُشوِّقة. ولم تكد «نوسة» تنتهي من قصتها حتَّى أصبحت الورقة موضع اهتمامهم الشديد ... وأحاطوا بها جميعًا ينظرون إليها ويتفحَّصونها بدقة.

كان «تختخ» يمسك بالورقة بين يديه يتأملها، وذهنه يعمل بسرعة خارقة ثم قال: إنَّ هذه ورقة من ورق المُستشفيات ... فلكلِّ مريض ورقة تُعلَّق على فراشه تُرصَد فيها درجة حرارته كل فترة ... ويكتب عليها الطبيب ملاحظاته والأدوية ومواعيد تناولها ... وهذه الكلمات الإنجليزية ليست إلا أسماء أدوية، وهذا الخط المتعرِّج الذي يصعد أحيانًا وينخفض أحيانًا هو خط درجة الحرارة.

قال «عاطف» ساخرًا: إنني أرشحك كمُمرِّض في القصر العيني!

قالت «لوزة»: تقصد طبيبًا!

عاطف: إنني أخشى إذا كان طبيبًا أن يقوم بمغامرات مع المرضى، ويحلَّ لغز المرض بدلًا من تشخيصه وعلاجه في الوقت المناسب.

محب: على كلِّ حالٍ عملُ الطبيب يُشبه المغامرة؛ فهناك أمراض مستعصية يقف أمامها الطبيب كما يقف المغامر أمام لغز من الألغاز.

قال تختخ: إنني مُتأكِّد مما أقول!

عاطف: وماذا يعني هذا الخط المرسوم بالقلم الرصاص على شكل حرف «ت» الإنجليزية يا حضرة الدكتور؟

تختخ: لا أدري ... ولكن من الواضح ألا علاقة له بالطب ... إنه خط رُسم على عَجَل، وهذا واضح من اضطرابه ... وفي الغالب إنه رسم هندسي لمكانٍ ما لا أعرفه ... وهذا الرقم يدلُّ على مسافة!

نوسة: لقد تقدمنا خطوة في طريقة فهم الورقة، ولكن كيف نُفسِّر لغز الرجل الذي خُطف ولم يستنجد؟

محب: إنَّ الخطف جريمة كبيرة ... وعندما يُخطَف شخص بدون أن يستنجد فهذا يعني أنه لا يريد أن يتدخل أحد.

لوزة: تقصد الشرطة؟

محب: بالضبط ... إنه شخص يُفضِّل أن يُخطف على أن يتدخل رجال الشرطة بينه وبين خاطفيه.

تختخ: وهذا يعني أن هذا الرجل يُهمُّه أن يبتعد عن رجال الشرطة ... أو بمعنًى آخر إنه قد يكون مختفيًا عن رجال الشرطة لسببٍ لا نعلمه.

عاطف: وهذا الرجل كان في مُستشفًى ... فهذه ورقة من ورق المستشفى ... وهذا الشخص كما وصفته «نوسة» يمشي بساقٍ خشبية ... فهل دخل المستشفى ليبترَ ساقه إثر حادث أو مرض؟

تختخ: هذا ممكن جدًّا ... ولعلَّ اسمه كما هو مُدوَّن في الورقة «عبد الغفور قابيل» أو «عبد الصبور» ... بحسب ما سنتَّفق عليه أو نرجِّحه.

نوسة: إننا نتقدم بسرعة حقًّا!

تختخ: إلى حدٍّ معقول ... يُمكن أن يُقال إنَّ هذا الشخص — ولنُسمِّه «قابيل» — دخل المستشفى يحمل سرًّا يُريد ألَّا يعرفه أحد ... وعندما أحس بأنه قد يموت حاول أن يكتب معلوماته على أقرب ورقة إليه ... فكتبَها على ورقة المستشفى ... وهذه المعلومات تتعلق بمكانٍ ما ... فيه شيء هام.

لوزة: لكن لماذا احتفظ الرجل بالورقة بعدما شُفي وخرج من المستشفى، ما دامت المعلومات التي أراد تسجيلها على الورقة ما زالت في ذهنه؟

نوسة: إنَّه سؤال هام حقًّا ... ومن الصعب الإجابة عنه.

قال «تختخ»: فعلًا!

محب: والآن بعد كل هذه الاستنتاجات ... ماذا نفعل، أو بالتحديد هل تَعُدُّون هذا لغزًا يستحق أن نُحاول حلَّه؟

عاطف: إذا لم يكن هذا لغزًا فماذا تُسميه ... حكاية خرافية مثلًا؟

محب: ما دام هذا لغزًا، وسنحاول حلَّه ... فلا تضيعوا وقتًا أطول في الحديث وهيا نتحرك، فإجازة نصف السنة لن تتحمَّل حديثًا طويلًا!

تختخ: ماذا تقترح؟

محب: أقترح أن نبدأ البحث في المُستشفيات عن هذا الاسم ... لنَعرِف الظروف التي أدَّت إلى بتر ساق «قابيل» هذا، لعلَّ هذه الخطوة تنير سبيلنا.

تختخ: إنني أقترح أنْ نُقسم العمل كالمعتاد ... وعلى كلٍّ منَّا أن يتحملَ مسئولية جمع المعلومات عن جزء من اللغز ... مثلًا على «عاطف» أنْ يسأل قريبه الدكتور «مختار» الذي الْتقينا به في لغز «الشيء المجهول» عن هذه الورقة، ومن أيِّ مُستشفًى هي ... فإذا عرفنا المُستشفى كان من السهل معرفة الرجل ... فليس من المعقول أن نسأل في كل مُستشفيات القاهرة ... بل مستشفيات مصر كلها!

نوسة: ودوري أنا؟

تختخ: سنَبحث جميعًا عن معنى كلمة «بوحول» ... إنها كلمة واضحة لم تَطمسْها المياه أو الطين ... وأحسُّ أنها مفتاح هامٌّ من مفاتيح حلِّ هذا اللغز.

لوزة: إنها كلمة عجيبة ... «بوحول» ... كأنها اسم إله قديم ... أو مكانٍ أثري.

تختخ: فعلًا ... إنها تُعطي الإحساس بهذا المعنى ... ومَن يدري لعلَّها تكون كذلك، وعلينا أن نسأل كلَّ من نَعرف من أقاربنا.

نوسة: ما رأيكم لو بحثْنا في دائرة المعارف العربية؟! لعلَّ «بوحول» اسم شيء أو مكان أو إنسان مُهمٍّ كتبت عنه دائرة المعارف هذه ... أو أي دائرة معارف أخرى.

تختخ: إن قراءاتك في الفترة الأخيرة أصبحت مُفيدة حقًّا يا «نوسة» فأرجو أنْ تبحثي عنه في أي مرجع من المراجع التي لديك.

لوزة: لقد نسينا الرقمين ... الرقم ١٢٠، والرقم ١٠٠ إنهما بالتأكيد ليسا درجات حرارة ... فالإنسان لا يُمكن أن تصل حرارته إلى هذا الرقم، وإنما يموت قبله بكثير.

تختخ: سنترك الرقمين الآن ... وإن كنتُ أظنُّ أنهما كما هو واضح من الخطين المتعامدَين اللذَين يشبهان حرف «ت» باللغة الإنجليزية — يُمثِّلان مسافة أو مسافتين ... سنعرف هذا في الوقت المناسب.

عاطف: هناك بطل في هذا اللغز نسيناه تمامًا!

التفت الأصدقاء جميعًا إلى «عاطف» في اهتمامٍ، فقال ببساطة: القطَّة الصغيرة ... أليست هي السبب في كل ما حدث؟! ولولاها ما نزلت «نوسة» في المطر والظلام لتشهدَ قصة الاختطاف العجيبة.

نوسة: معك حق ... لقد نسيتُها تمامًا ... لا بد أن أعيدها إلى أصحابها؛ فهي من نوع ثمين، ولعلهم الآن يبحثون عنها في كل مكان.

تختخ: في الأغلب أنهم من جيرانكم، ولعلهم سيسألون عنها عندكم ... والآن سأملي عليكم الأسماء التي في الورقة للسؤال عنها بقدر استطاعتكم.

وبعد أن انتهى الاجتماع، أسرع «تختخ» إلى منزله؛ فقد كان عندهم ضيوف يجب أن يَحضرَ معهم الغداء ... وانصرفت «نوسة» مع شقيقها «محب» يتحدثان في الطريق.

قال «محب»: هل تدورين على الجيران تسألين عن أصحاب القطة الضائعة؟

نوسة: سأتصل بصديقاتي تليفونيًّا أولًا ... وأسألهن عن هذه القطة، فإذا لم تكن قطة إحداهن؛ فقد تكون قطة أحد جيرانهن.

محب: أما أنا فسوف أتمشَّى قليلًا على الكورنيش ... فالشمس جميلة، وأحس برغبة في التنزه.

عادت «نوسة» وحدها إلى البيت، وأمسكت بسماعة التليفون، وأخذت تسأل صديقاتها بدون أن تروي لهنَّ القصة كاملة ... فقط اكتفت بأن تقول إنها عثرت على القطة في حديقة منزلهم ليلًا ... بعض الصديقات قلْن إنهن لا يعرفن القطة ولا أصحابها أو صاحبتها ... وبعضهن لم يكن موجودات في منازلهنَّ، وهكذا قررت «نوسة» أنْ تُوجِّه اهتمامها مؤقتًا إلى البحث عن معنى كلمة «بوحول» في القواميس ودائرة المعارف العربية التي يملكها والدها ... وهكذا نزلت إلى غرفة المكتب في الدور الأرضي ... وغرقت بين المجلَّدات الضخمة ... وأخذت تبحث عن «بوحول» في المراجع المختلفة الموجودة في المكتبة.

ظلت «نوسة» فترة غارقة في قراءتها بدون أن تعثر لـ «بوحول» هذا على أثر. ولكنها لم تترك الكتب، فقد كانت تحب القراءة ... وأغرتها المعلومات الكثيرة التي وجدتها في دائرة المعارف، فأخذت تقرأ بدون أن تبحث عن شيء معيَّن حتى كان وقت الغداء ... فتذكرت

أنها لم تتصل بكل صديقاتها؛ ومن ثم تركت الكتب جانبًا وأمسكت التليفون وعاودت الاتصال ... ولم تكد تحدِّث صديقتها «أمينة» عن القطة حتى قالت «أمينة»: إنني أتذكر هذه القطة ... فقد دخلت شقتنا يومًا ما ... إنها قطة لونها كلون الرمال ... وطرف ذيلها أسود ... وحول عينيها هالتان سوداوان ... أليس كذلك؟

ردَّت «نوسة» بلهفة: نعم ... نعم تمامًا.

أمينة: لكنَّ هناك شيئًا هامًّا، فكل القطط السيامي تتشابه في هذه الصفات ... غير أن هذه القطة لون عينها بنفسجي تقريبًا ... أليس كذلك؟

نوسة: تمامًا.

أمينة: إنها قطة جارٍ لنا ... رجل عجيب ... يحب القطط، وعنده عدد كبير منها ... وهو لا يتحدَّث مع أحد ... ولكنِّي عندما أعدتُ إليه هذه القطة كان لطيفًا معي جدًّا.

نوسة: وهل تعرفين اسمه ورقم تليفونه ... فإنني أريد التحدث معه.

أمينة: إن اسمه الأستاذ «رياض»، ولكني لا أعرف رقم تليفونه ... وأقترح عليك زيارتي، وسنذهب معًا إليه، ونردُّ القطة ... وستُتاح لك فرصة مشاهدة أكبر وأجمل مجموعة من القطط شاهدتها في حياتك.

نوسة: اتفقنا ... وسأَحضُر في الرابعة بعد الظهر.

في الرابعة بالضبط، كانت «نوسة» تحمل القطة الصغيرة وتطرق باب شقة صديقتها «أمينة» في العمارة الضخمة التي تَسكُن بها. وفتحت «أمينة» الباب بنفسها ورحَّبت بصديقتها، ولم تكدْ ترى القطة حتى قالت: إنها هي القطة نفسها التي جاءت إلى شقَّتنا يومًا ثم رددناها إلى صاحبها ... إنها قطة كثيرة الهرب ... ويبدو أنها تحبُّ التجوُّل خارج الشقة حيث يسكن صاحبها.

نوسة: إنني في الحقيقة أحببت هذه القطة جدًّا، وأود الاحتفاظ بها، لكن من الواجب طبعًا أن أردَّها إلى أصحابها.

أمينة: إنَّ صاحبها رجل غريب الأطوار ... نادرًا ما يراه أحد، ويعيش في الدور الأخير من العمارة مع مجموعة من القطط، وليسَت له زوجة ولا أولاد ... ولا خدم ولا يزوره أحد مطلقًا.

نوسة: شيء غريب.

أمينة: فعلًا، وأنا لا أعرف من اسمه إلَّا «رياض»، وسنَسأل البواب أموجود هو في شقته أم متغيب في الخارج.

وجلست الصديقتان تتحدَّثان، في حين ذهبت الشغَّالة إلى البوَّاب لتسأله ... وبعد فترة عادت قائلة: إن البواب يقول إنه لا يَعرف هل الأستاذ «رياض» في شقته أو لا ... فهو لم يرَه منذ صباح أمس.

أمينة: في هذه الحالة ليس أمامنا إلا أن نَصعد إلى شقته وندق جرس الباب، ثم نرى.

وهكذا صعدت الصديقتان، وتقدمتا من الشقة المنفردة على السطح، ودقت «أمينة» جرس الباب ثم وقفتا معًا في الانتظار ... مرَّت فترة والصديقتان تنتظران بدون أن يفتح أحد ... فدقت «أمينة» جرس الباب مرةً أخرى ... ومرةً أخرى لم يفتح أحد ... وفي هذه اللحظات كانت «نوسة» ترهف أذنيها وهي تستمع إلى أصوات كثيرة تصدُر من داخل الشقة ... ولما لم يرُدَّ أحد تقدمت بدون تردُّد، ووضعت أذنها على الباب، وسرعان ما اتضح لها أن الأصوات التي تسمعها هي أصوات قطط كثيرة تموء وتصرخ، وتقفز هنا وهناك داخل الشقة المُغلَقة.

قالت نوسة: إن القطط في حالة ثورة في الداخل، ويبدو أنها جائعة.

أمينة: معنى هذا أن الأستاذ «رياض» خرج من فترة طويلة، ولم يضع لها الطعام الكافي.

نوسة: نسيتُ أن أسألك عن شكل الأستاذ «رياض».

أمينة: إنه رجل ضخم الجسم، في الخمسين من عمره تقريبًا ... صارم التقاطيع ... ولكن أبرز ما يُميِّزه أن له ساقًا خشبية.

لم تكد «نوسة» تسمع هذا الكلام حتى سقطت القطة من يدها، ووقفت تُحملِق في «أمينة» وهي مذهولة، ولاحظت «أمينة» ما طرأ على صديقتها؛ فقالت لـ «نوسة»: ماذا حدث؟! إن وجهَكِ شاحب!

لم تردَّ «نوسة»؛ فقد كانت خواطرها تجري ... وتتذكَّر الرجل المخطوف ليلًا، وساقه الخشبية التي كان يدقُّ بها الأرض، وهو يسير في المطر والظلام.

عادت «أمينة» تقول: «نوسة» ماذا حدث؟

ردت «نوسة» في بطء: تقولين إنَّ له ساقًا خشبية؟

أمينة: نعم ... هل في هذا ما يُدهش؟

نوسة: إنَّ ذلك شيء هامٌّ جدًّا!

أمينة: ما وجه أهميته؟

عادت «نوسة» إلى هدوئها وقالت: إنها حكاية طويلة، قد أَقصُّها عليك يومًا ما، المهم الآن هو إنقاذ هذه القطط.

أمينة: إنقاذ القطط ...! إني لا أفهم ماذا تَقصدين ... ومن أيِّ شيء نُنقذها؟

نوسة: من الموت جوعًا ... فصاحب هذه القطط لن يعود إليها.

أمينة (مندهشة): لن يعود؟ لماذا وكيف عرفتِ؟

نوسة: سأقول لك فيما بعد ... المُهم الآن ماذا نفعل؟

أمينة: إذا كنتِ مُتأكِّدة من أنه لن يعود، فليس أمامنا إلا الاتِّصال بشرطة النجدة لإنقاذ القطط.

نوسة: سآخُذ القطة الصغيرة، وأنزل فورًا، وسأتَّصل بك بعد ساعة أو أقل لأقول لك ماذا فعلت، أو نتفق على ما نفعل، وأرجوك الآن أن تُحضري بعض اللبن وتسكبيه من تحت الباب حتى تتغذَّى به القطط الجائعة مؤقتًا.

انحنت «نوسة» وأمسكت بالقطة الصغيرة التي كانت تتمسَّح بباب الشقة المُغلَق وتموء بشدة، كأنها تتحدَّث إلى شقيقاتها داخل الشقة ... ونزلت الصديقتان، وغادرت «نوسة» العمارة مسرعةً إلى منزل «تختخ» ... فهو الوحيد الذي يمكن أن يتصرفَ في هذا الموقف ... وفي الوقت نفسه تروي له أنها عثرت على مكان ذي الساق الخشبية.

لحسن الحظ كان «تختخ» في الحديقة غارقًا في بعض كتب التاريخ؛ مُحاولًا البحث عن معنى كلمة «بوحول» التي كانت مكتوبة في الورقة التي عثرت عليها «نوسة».

قال: «تختخ» عندما رآها: ماذا هناك؟ إن وجْهكِ يدلُّ على أنك تحملين أنباء جديدة!

نوسة: نعم ... لقد عرفت مَن هو الرجل ذو الساق الخشبية ... إن اسمه ليس «عبد الغفور» أو «عبد الصبور قابيل» كما تصوَّرنا ... إنَّ اسمه «رياض» ... وهو يسكن في المعادي في عمارة تسكُن بها إحدى صديقاتي.

تختخ: اجلسي أولًا واحكي لي القصة كلها.

وجلست «نوسة»، وأخذت تَروي لـ «تختخ» ما جرى منذ اتصلت بصديقتها «أمينة» حتَّى وصلت إليه.

ظلَّ «تختخ» يُفكِّر لحظات ثم قال: إنها معلومات على أكبر جانب من الأهمية ... وإذا استطعنا أن ندخل الشقة فقد نعثر على معلومات جديدة تكشف شيئًا من الغموض المحيط بهذا الرجل.

نوسة: لقد أدركت الآن لماذا خرج في البرد والظلام ... لقد كان يبحث عن قطتِه الهاربة.

تختخ: ربما لهذا السبب أو لسببٍ آخر ... المهم الآن أن ننقذ القطط السجينة حتى لا تهلك جوعًا.

نوسة: الحل كما أرى أن تتصل بشرطة النجدة.

تختخ: علينا في هذه الحالة أن نرويَ قصة خطف الرجل والورقة التي عثُرتِ عليها ... وقد لا يصدقون كلامنا، وبخاصةٍ أنَّ فتْح منزل في غياب صاحبه ليس مسألة سهلة من وجهة نظر القانون.

نوسة: لنتَّصل بالمفتش «سامي».

تختخ: فعلًا ... فهو سيُصدِّقنا، ويُساعدنا ... وفي الوقت نفسه يمكن أن يفتح الشقة وينقذ القطط ... سأذهب للاتصال به تليفونيًّا، وعليكِ بالانتظار هنا، فسوف يحضر «عاطف» و«محب» و«لوزة» بعد قليل.

عندما عاد «تختخ» بعد المكالمة التليفونية، لم يكن راضيًا؛ فالمفتش لم يبدِ اهتمامًا بموضوع القطط والرجل المخطوف والورقة التي سقطت منه ... لقد عدَّ كل هذا من قبيل المبالَغات، ونصَح «تختخ» بأن يتصل بالشاويش «فرقع»، ويتعاون معه لإخراج القطط إذا لم يَعُد صاحبها بعد يوم آخر.

وجلس «تختخ» ساكتًا، ينظر إلى «نوسة» وقد استغرق في تفكير عميق، فقالت «نوسة»: لماذا لم يهتمَّ المفتِّش بهذا اللغز ... إنَّه لغز هام.

تختخ: إن المفتش مشغول جدًّا في قضية هامة تتعلَّق بمجموعة من الآثار الفرعونية سُرقت منذ فترة، ولم يتمكَّن حتى الآن من الوصول إلى الفاعل أو الفاعلين ... وعلينا أن نعتمد على أنفسنا في حلِّ اللغز ... وأول خطوة في رأيي أن نعرف حقيقة «رياض» هذا ... وإذا لم يكن هو المريض الذي كانت ورقة المُستشفى باسمه ... فمَن هو إذن «قابيل» هذا؟ ... وما سرُّ هذه الورقة والكتابة التي عليها؟ ولماذا كان يحملها؟

نوسة: إنَّ كل وقت يمضي ليس في مصلحتنا ... فمن المهم أن نتحرك سريعًا ... لكن كيف؟ وإلى أين؟

تختخ: إنني أتصور «رياض» هذا عضوًا في عصابةٍ ما قامت بسرقة، وأنه احتفظ لنفسِه بالمسروقات، وأراد أن يختفيَ عن أنظار العصابة، ولكنها استطاعت أن تصلَ إليه وأن تخطفه.

نوسة: وكيف وصلتَ إلى هذه الاستنتاجات؟

تختخ: لسببٍ واحد بسيط ... هو أن «رياض» لم يَستغِثْ عندما خطفوه، ورجلٌ يُفضِّل أن يُختطَف على أن يتدخلَ رجال الشرطة في أمره لا بد أن يكون مجرمًا ... فهذا الرجل الغامض ... ذو الساق الخشبية ... المحب للقطط، والذي سقطَت منه الورقة أو

أسقطها ... رجل خارج على القانون ... فأي رجل شريف لا يُمكن أن يترك المجرمين يختطفونه من قارعة الطريق بدون أن يستغيث.

نوسة: هذا كلام معقول جدًّا.

تختخ: وأنا أتخيل أيضًا أن العصابة قد تعود لتفتيش مسكنِه، للبحث عن المسروقات التي أخفاها، إذا لم يَعترف لهم بمكانها ...

وقبل أن يتمَّ «تختخ» حديثه وصل الأصدقاء الثلاثة ... «محب» و«عاطف» و«لوزة» إلى باب الحديقة وهم يُلوِّحون بأيديهم، فقال «تختخ»: لقد عادوا بأخبار هامة هم أيضًا ... فواضح على وجوههم أنهم قد عثروا على شيء هام.

واندفع الأصدقاء الثلاثة إلى حيث يجلس «تختخ» و«نوسة» وقال «عاطف»: لقد وصلنا إلى معلومات هامة!

تختخ: هذا ما استنتجته ... فهو واضح على وجوهكم جدًّا.

عاطف: فقد أخبرني قريبي الدكتور «مختار» أن الورقة من أوراق مُستشفَى أم المصريين من قسم الجراحة، قال إنه يُرجِّح أنَّ المريض الذي كانت تخصُّه هذه الورقة قد تُوفِّي ... وذلك واضح من انخفاض درجة حرارته المفاجئ.

تختخ: إنَّ قريبك الدكتور «مختار» يستحق أن يعمل في البحث الجنائي؛ فهذا استنتاج ممتاز، ولكن كيف عرف أن الورقة من ورق مُستشفَى أم المصريين؟

عاطف: لقد أخبرني أنه سأل في عدة مستشفيات حكومية، وتأكَّد أنها من أوراق مستشفى أم المصريين. ولا سيما أنه كان يعمل هناك، وكان يظن من البداية أنها من أوراق هذا المستشفى الكبير.

محب: وهذا يعني أن ذا الساق الخشبية ليس هو صاحب الورقة ... فهو حي يُرزق.

لوزة: تمامًا؛ فالمُتوفَّى إذن هو «عبد الغفور قابيل» أو «عبد الصبور قابيل» ... وقد وعدَنا الدكتور «مختار» أن يسأل عن هذا الاسم في المُستشفى ... فهو لم ينسَ مساعدتنا له في مغامرة «الشيء المجهول»، ويُريد أن يردَّ إلينا بعض جميلنا.

محب: هناك شيء أهم من هذا كله ... لقد اتَّصلتُ بعمي الدكتور «حمزة» — وهو كما تعرفون أستاذ في التاريخ القديم بالجامعة — وسألته عن معنى كلمة «بوحول».

وانتبه الأصدقاء جميعًا ... وقال «تختخ» مُنفعلًا: وماذا تعني هذه الكلمة العجيبة؟

أخذ «محب» ينظر إليهم في استعلاء، وكأنه عثَر على كنز، ثم قال بصوت واضح رنَّان: إن معناها «أبو الهول» ... لقد أطلق «الكنعانيون» — وهم من الشعوب التي استوطنت

مصر قديمًا — اسم «بوحول» على هذا التمثال الضخم، ثم حُرِّف الاسم بعد ذلك إلى «أبو الهول» …

تبادل الأصدقاء النظرات في انبهار وقال «تختخ»: إننا نتقدَّم بسرعة … وأمامنا الآن مجموعة هامة من المعلومات يمكن أن تفتح بابًا واسعًا لحل اللغز.

كنز أبو الهول

بعد لحظات أخذ الأصدقاء جميعًا يتحدَّثون، كلٌّ منهم يُبدي وجهة نظر في المعلومات التي حصلوا عليها، وبخاصة بعد معرفة معنى كلمة «بوحول» التي أوحت لكلٍّ منهم برأي مختلف … وبعد فترة من المناقشات الحامية قالت «نوسة»: إنني تابعت القصة من أولها … وتابعت المعلومات كلها. ومناقشاتكم المثيرة. وأستطيع أن ألخِّص لكم القصة كلها … فهل تسمعون لي؟

صمت الأصدقاء جميعًا، وقال «تختخ»: إننا دائمًا نقع في الخطأ نفسه: أن نتحدَّث جميعًا في وقت واحد … وهي طريقة خاطئة لا تؤدِّي إلى رأي صحيح … سنَستمِع إليكِ يا «نوسة».

نوسة: أتصور أن هناك شيئًا هامًّا وثمينًا موجودًا في مكانٍ ما … وهناك أشخاص يحاولون معرفة هذا المكان للاستيلاء على هذا الشيء الثمين … وقد استطاع «قابيل» أن يَعرف مكانه … لكنه تُوفِّيَ قبل أن يصل إلى هذا الشيء … وربما حاول — قبل أن يموت — أن يكشف المكان، ولكن بطريقة سرِّية، فكتب المعلومات على ورقة المُستشفى، وهي أقرب ورقة له، واستطاع «رياض» أن يحصل على هذه الورقة، وقبل أن يحلَّ رموزها طارَدَه الذين يُهمهم الوصول إلى هذا الشيء الثمين — ولنقلْ إنه كنز مثلًا — … واختطفوه للحصول على هذه الورقة … لكن «رياض» أسقط الورقة حتى لا يَعثُر عليها هؤلاء الرجال معه … هذه الورقة التي وقعت في أيدينا بطريق المصادفة … هل هذا معقول؟

محب: إنَّها قصة محبوكة الأطراف … ومعقولة جدًّا.

تختخ: فعلًا … ويُمكن أن نبدأ الآن عملنا … لقد عرفنا أن المكان الذي أُخفي فيه الكنز عند «أبو الهول» … وهناك أرقام توضِّح مسافات معينة لعلها تدلُّ على هذا المكان بالتحديد!

نوسة: إنني أذكر أنني قرأت أمس في كتاب «أهرام مصر»، أن طول «أبو الهول» هو حوالي ٢٤٠ قدمًا … والرقم الذي عندنا هو ١٢٠، وهذا يعني أن مكان الكنز عند مُنتصَف «أبو الهول» … أو على امتداد خط من مُنتصَف التمثال الكبير.

تختخ: إنكِ ممتازة «يا نوسة»، لقد قدمت ملخَّصًا محبوكًا للقصة، ثم قدمت استنتاجًا آخر عن مكان الكنز.

لوزة: وما القَدم؟

تختخ: إنه قياس إنجليزي للأطوال، والياردة ٣ أقدام، والمتر $\frac{٣٥}{٣٢}$ من الياردة، وبحسبة تستغرق بعض الوقت يُمكننا أن نعرف أن «أبو الهول» طوله ٧٣ مترًا تقريبًا، أو بالتحديد ٧٣ مترًا و١٤ سنتيمترًا، وجزءٌ من السنتيمتر يساوي $\frac{٢}{٧}$.

عاطف: حسبة دقيقة حقًّا يا حضرة العلَّامة «أينشتين»!

تختخ: إن الإنسان لا يكون علَّامة لمجردِ أنه يعرف حسبة معقَّدة نوعًا كهذه، فلا داعي للسخرية، وفكِّرْ معنا في الخطوة التالية.

عاطف: إنها خطوة بسيطة مثل العملية الحسابية التي أجريتها حالًا … فما علينا إلا أن نرفع «أبو الهول» من مكانه برافعة بسيطة من الدرجة الأولى، ثم نحفر الرمال فنجد الكنز!

لوزة: إنك لا تكفُّ عن الهزار … ولا تساعدنا بشيء!

عاطف: المسألة واضحة جدًّا … فعلينا أن نَرحل فورًا إلى منطقة الأهرام ومعنا مقياس لقياس الأبعاد المكتوبة في هذه الورقة، ثم نبحث عن الكنز في المكان المُحدَّد.

محب: إنها رحلة طويلة تَستدعي الاستعداد التام … أقترح أن تُؤجَّل إلى اليوم التالي.

تختخ: معقول جدًّا … وفي هذه الفترة قد نَحصُل على معلومات جديدة تُساعدنا أكثرَ على الوصول إلى الكنز.

وافترق الأصدقاء، وكلٌّ منهم يفكر ويحلم … أين الكنز؟ وما هو وما حكاية «قابيل» هذا … وهل هو الذي دفَنَ الكنز مكانه؟ أو هو مِلك لآخرين، وعرف هو مكانه؟ وكيف تَنتهي هذه المغامرة؟

لقد أثارت خيالهم فكرة الكنز … فهل هو ذهبٌ أو مجوهرات؟ أو لعلَّه شيء أهم من الذهب والمُجوهَرات … المُهم أنَّ في باطن الأرض في مكانٍ ما قرب «أبو الهول» كنزًا يَصطرع عليه عددٌ كبير من الناس، ولكنَّ المُغامرين يؤملون أن يصلُوا أولًا ويَحصُلوا على الكنز ويُسلِّموه للمسئولين.

وقاموا جميعًا وهذه الأحلام تُداعب خيالاتهم.

في صباح اليوم التالي، رنَّ جرس التليفون في منزل «عاطف»، وكان المتحدث هو الدكتور «مختار» الذي كان قد وعدَهم بمُساعدتهم في معرفة شخصية «قابيل» من مستشفى أم المصريين ... وفعلًا قال الدكتور «مختار»: لقد استطعت بواسطة بعض مَن أعرف في مستشفى أم المصريين أن أحصل لكم على المعلومات اللازمة عن «عبد الغفور قابيل»، وهذا هو اسمه ... وزميله الذي دخل معه المستشفى في الوقت نفسه، ويُدعى «سيد حسونة».

قاطع «عاطف» الدكتور «مختار» قائلًا: ولكنَّ الرجل الذي نعرفه اسمه «رياض»!

الدكتور «مختار»: إنَّ اسمه في سجلات المُستشفى «سيد حسونة»، وقد أُجريت له عملية بتر الساق اليُمنى.

عاطف: إذن فإنَّ «سيد حسونة» و«رياض» شخص واحد، ولكنه كان مُتخفيًا تحت اسم «رياض» خوفًا من الذين خطفوه.

مختار: على كل حالٍ، هذه الاستنتاجات من اختصاصكم. ما يُهمني أن أبلغه لكم أن هذين الرجلين دخلا المستشفى على إثر حادث تصادُم سيارة بسيارة أخرى في نهاية شارع الهرم ... فنقلتْهما سيارة إسعاف إلى مُستشفَى أم المصريين، وكانت إصابة «عبد الغفور قابيل» شديدة فمات بعد ثلاثة أيام، أما «سيد حسونة» فقد بتَرَ الأطباء ساقَه فقط، ونجا بحياته.

عاطف: إنها معلومات هامَّة تُلائم تمامًا ما تصورناه.

مختار: هناك شيء آخر ... إنَّ رجال الشرطة لم يستطيعُوا القبض على مُرتكبي هذا الحادث.

عاطف: إذن فالأرجح أن يكونوا هم الرجال المجهولين الذين خطفُوا «سيد حسونة» أو «رياض» كما كان يُسمِّي نفسه.

مختار: أكثر من هذا ... أنَّ بعض الرجال قد حاوَلُوا مهاجمة «سيد حسونة» هذا في المُستشفى، ولكنهم لم ينجحوا في محاولتهم، واضطرُّوا إلى الفرار ... وقد كانوا متنكِّرين في ثياب الممرِّضين حتى لا يعرفهم أحد.

عاطف: يا لها من قصة مشوقة! ... إنها تُضفي كثيرًا من المعلومات على ما نعرفه، فشكرًا لك يا عمي العزيز.

مختار: إنني لا أنسى أنكم ساعدتم في حلِّ لغز «الشيء المجهول» ببراعة فائقة، وكلُّ ما أرجوه أن تكونوا على حذر!

عاطف: لا تَخشَ شيئًا؛ فليسَت هذه المُغامَرة هي أخطر مغامرة اشتركنا فيها!

بعد نصف ساعة من هذه المكالمة الهامة … كان الأصدقاء قد اجتمعوا في حديقة منزل «عاطف»، وقد استعدُّوا جميعًا للرحلة، وجلسُوا يستمعون إلى «عاطف» وهو يروي لهم تفاصيل المحادثة التي جرت بينه وبين الدكتور «مختار».

قال «تختخ» مُعلِّقًا: إننا أمام عصابة خطيرة حقًّا، لقد حاولت العصابة في حادث السيارة الحصولَ على المعلومات الخاصة بمكان الكنز … ولما لم تستطِع حاولت ذلك عن طريق مهاجمة «سيد» في المستشفى، وأفرادها متخفُّون في ثياب الممرضين.

لوزة: إنني أذوب شوقًا للذهاب إلى «أبو الهول»، لعلنا نصل إلى مكان الكنز قبل أن تصل العصابة.

تختخ: هيا بنا.

وأسرع الأصدقاء إلى القطار، وعندما وصلوا إلى محطة «باب اللوق» اتجهوا يسارًا إلى «ميدان التحرير»، حيث ركبوا «الأتوبيس» رقم ٨ الذي حملهم إلى الهرم.

كان يومًا جميلًا، والشمس الدافئة تَسكُب أشعتها على منطقة «الأهرام» و«أبو الهول»، وقد انتشر السياح حول الهرم يستمتعون بأشعة الشمس وركوب الجِمال والخيل، فقالت «لوزة»: إنه يوم مثالي للنزهة هنا … لكنَّنا للأسف جئنا لغرضٍ آخر، فلن نستطيع الجري أو اللعب.

عاطف: مَن يدري، لعلنا لا نصل إلى شيء إلَّا الجري واللعب.

نظرت إليه «لوزة» نظرةَ عتاب، لكنه سبقها جريًا، وتبِعه الأصدقاء فمرُّوا بجوار الهرم الأكبر الضخم … ثمَّ أشرفوا على المُنحدَر المؤدي إلى تمثال «أبو الهول».

كان التمثال الكبير رابضًا في مكانه كما كان منذ آلاف السنين … الجسم جسمُ أسد والرأس رأس إنسان … القوة والحكمة معًا …

قالت «نوسة»: إنَّ التمثال غائص في الأرض، ولا ندري من أيِّ اتجاه نبدأ العمل.

تختخ: إنَّ الرقم الذي عندنا يدلُّ على منتصف طول «أبو الهول»، ونحن كما ترين واقفون في مواجهة التمثال، والجهة اليسرى محدودة بالطريق الأسفلتي … ومن غير المعقول أن يَحفر الإنسان فيه ليُخفي شيئًا، والمعقول أن يحفر في الجهة الأخرى الرملية … فاتجاهنا إذن محدَّد.

وعاود الأصدقاء السيرَ وهم ينظرون حولهم في اهتمام؛ فقد كانوا يتوقعون في كل لحظة أن يَحدُث شيء مثير … لكن كل شيء مضى بهدوء حتَّى وقفُوا قرب الجانب الأيمن للتمثال.

وقال «محب»: المفروض أن نبدأ بالقياس الآن. لكن أيُّ منظر ملفت للأنظار أن يقوم بعض الأولاد بقياس «أبو الهول» ... ولا شكَّ أننا سنكون موضع دهشة وتساؤل الناس.

نوسة: معك حق ... فما الحل إذن؟

لوزة: أقترح أن نتظاهر باللعب ... فمثلًا نُعِدُّ ملعبًا للكرة ... وبالطبع هذا شيء يمكن أن نقيسه دون أن نلفت الأنظار.

عاطف: ولكن أين الكرة التي سنلعب بها؟

لوزة: إننا سنتظاهر فقط.

تختخ: لا ... من الأفضل فعلًا أن يكون معنا كرة ... وعليك يا «محب» أن تُسرِع إلى نزلة السمان، وهي أقرب مكان به دكاكين، وتشتري لنا كرة فورًا.

وهكذا أسرع «محب» يجري، في حين وقف الأصدقاء في انتظاره ... وانتهَزَ «تختخ» الفرصة ليُخرِج الورقة التي عثَرَت عليها «نوسة»، وكانت بداية اللغز.

وقف الأصدقاء جميعًا في دائرةٍ يَنظُرون إلى الورقة باهتمام و«تختخ» يشرح لهم مرة أخرى المعلومات التي عليها ... ولم يُلاحظ الأصدقاء أن رجلًا غريبًا كان يَستمِع إلى حديثهم ... واقترب منهم في هدوء وأخذ يُصغي إلى ما يقولون ... وألقى نظرة على الورقة، ثم ابتعد مُسرعًا ...

مضى الأصدقاء في حديثهم حتى حضر «محب» ومعه الكرة، وبدأ الأصدقاء يَقيسون، والرجل المجهول يرقبهم من بعيد، وقد انضمَّ إليه رجل آخر، وأخذا يتحدثان، وهما يرقبان ما يفعله الأصدقاء باهتمام، ثم قال أحدهما هامسًا: يجب أن نحصل على هذه الورقة بأية طريقة!

الحوادث تجري

أخذ الأصدقاء يتظاهرون بقياس الملعب ... في حين انهمك «تختخ» في قياس طول «أبو الهول»، بعد أن قام بعملية حسابية لتحويل الأقدام الى أمتار ... وقد واجهته مشكلة واضحة؛ هي أن «أبو الهول» ليس على سطح الأرض تمامًا، وإنما حوله تلال من الرمال ... فكيف يقيس ...؟

قال «تختخ» في نفسه: إن هذه المشكلة قد واجهت مَن حفر الكنز. ولا بد أنه كان يقيس من خارج منطقة الرمال ... فهذا هو الحل الصحيح ...

وبعد أن وصل الى نقطة تقريبية من منتصف «أبو الهول» بدأ يَقيس ١٠٠ متر منها مبتعدًا عن التمثال في خط عمودي عليه ... كانت الأرض وعرة تملؤها الصخور ... وبدا لـ «تختخ» أن كلَّ ما يقوم به مجرد عبث ... فأين هذا الكنز؟ وما الوسائل التي يُمكن أن تؤدِّي إليه؟ وهل هذه الفأس الصغيرة التي أتوا بها كافية لحفر هذه الأرض ... وعلى أيِّ عُمقٍ من سطح الأرض يكون الكنز مدفونًا؟

توقَّف «تختخ» بعد أن وصَل إلى نهاية الأمتار المائة ... وقف ينظر إلى الأصدقاء وقد انهمكوا في اللعب فعلًا، ثم أحضر حجرًا كبيرًا وضعه عند النقطة التي وصَل إليها بعد القياس، وطوى المقياس الذي يحمله، ثم تقدَّم نحو الأصدقاء، وعندما شاهدوه مقبلًا توقَّفوا عن اللعب وصاحت «لوزة»: هل انتهيت من القياس؟ هل نبدأ العمل؟

نظر «تختخ» إليها في ضيق، ثم قال: في الحقيقة يجب أن نُعاود النظر في خطتنا ... فليس من السهل علينا إجراء عملية الحفر بهذه الفأس الصغيرة ... إنَّ الأرض هنا وعرة تملؤها الصخور، واستعمال هذه الفأس الصغيرة في الحفر يشبه مَن يريد أن ينقل ماء البحر بفنجان ... أو يثقب الجبل بإبرة ... إننا نحتاج إلى أجهزةٍ أكبر.

قالت «لوزة» مُتحمِّسة: لا بد أن نجد الكنز حتى لو اضطررنا أن نحفر الأرض بأيدينا وأظافرنا.

عاطف: في هذه الحالة نَترُك لكِ أنتِ المهمة ونُكمِل نحن اللعب.

محب: لا هذا ولا ذاك ... لقد آن الأوان لأن نضع المسألة كلَّها بين يدي المفتش «سامي»، ونعطيه الورقة التي عثرَت عليها «نوسة»، ونروي له القصة كلها، وهو يستطيع بوسائله أن يجد الكنز.

عاطف: هذا إذا كان هناك كنز ... فعندي إحساس بأننا صنعنا من الحبة قُبَّة ... وهذه الورقة قد تكون تافهةً لا قيمة لها.

نوسة: إنكَ يا «عاطف» تروي أحيانًا نُكتًا ظريفة، لكن هذه «أسخف» نكتة سمعتها منك.

تختخ: لا داعي لهذه المعركة الكلامية، هيا نستمتع بهذا الجو الجميل والشمس الساطعة، ونلعب مباراة في الكرة، وعندما نعود إلى المعادي نُفكِّر في حلٍّ.

سعد الأصدقاء جميعًا بهذا الاقتراح، وسرعان ما انهمكوا في مباراة حامية، وقد انقسموا إلى فريقين: «محب» و«عاطف» في ناحية، و«نوسة» و«تختخ» في ناحية أخرى، وقامت «لوزة» بدور الحَكم ... وأخذت تَجري هنا وهناك وهي تَصيح: فاول ... هاند ...

وقضى الأصدقاء وقتًا ممتعًا، وحان وقت الرحيل، فأسرعوا إلى موقف الأتوبيس الذي كان شديد الازدحام، فاضطروا إلى الوقف في وسط الأتوبيس المُزدحِم، وقد تفرقوا مرغمين.

سار الأتوبيس مسرعًا، وأحس «تختخ» أنه محصور بين عدة رجال حصارًا خانقًا، فحاول أن يخرج من هذا الحصار المُتعِب، لكن هؤلاء الرجال كانوا يُضيِّقُون عليه الخناق. فلا يستطيع حراكًا، وبعد فترة من المحاولة غير المجدية وجد هؤلاء الرجال يتركونه فجأةً، وينزلون في المحطة التالية ...

وصل الأصدقاء إلى محطة التحرير مرةً أخرى، ثم ساروا إلى محطة «باب اللوق» ومنها استقلوا القطار إلى المعادي ... وقبل أن يَفترقُوا اتفقوا على اللقاء في غرفة العمليات في منزل «تختخ»، وهي الغرفة التي يحتفظ فيها بكل أدوات التنكُّر وغيرها من مستلزمات المغامرات ...

عندما عاد «تختخ» إلى المنزل أسرعَ إلى الحمام ليأخذ دشًّا ساخنًا يزيل به أثر العَرق والرمال ... وبدأ يُخرج ما في جيوبه ... النقود ... المنديل ... القلم، المقياس ... وأخذ يبحث عن الورقة التي سمَّوها «خريطة الكنز»، فلم يجدها ... بحث في جيوب القميص والبنطلون،

لكن الخريطة لم تكن موجودة. وأخذ يتذكَّر ... أظلت معه بعد أن أخرجها عند الهرم ... أم أخذها أحد الأصدقاء؟ إنه يتذكَّر جيدًا أنه طواها ووضعها في جيبه ... فأين ذهبت؟ وتذكَّر الرجال الذين كانوا يُزاحمُونه في الأتوبيس ... وأدرك كل شيء، لقد كانوا يزاحمونه لنشله ... وضرب جبهته بيده صائحًا حمار ... حمار ...!

لقد نشلوا خريطة الكنز. ولا بد أنهم كانوا يراقبونه طول الوقت بدون أن يُحسَّ ... وأخذ يُحدِّث نفسه، والماء الساخن ينزل على جسده، وحرارة الماء تزداد بدون أن يدري، حتَّى أحسَّ فجأة أنه يستحمُّ بماء مغلي، فأسرع إلى إغلاق الدش وهو شديد السخط.

عندما خرج «تختخ» من الحمام قرَّر أن يتصل بالأصدقاء، فلعله واهم، ولعلَّ الخريطة مع واحد منهم، ولكنه بعد لحظات عاد فقرَّر انتظار حضورهم.

عندما حضر الأصدقاء في المساء وجدوا «تختخ» واجمًا ... ينظر إليهم في جمود، ثم قال: هل الخريطة مع أيِّ واحد منكم؟

لوزة: خريطة الكنز؟

تختخ: نعم!

لوزة: ليست معي!

محب: ولا معي.

نوسة: ولا أنا.

عاطف: وأنا أيضًا ليست معي.

تختخ: آسف أن أبلغكم أنني فقدت الخريطة ... إمَّا أنها وقعت مني بدون أن أدري قرب «أبو الهول»، وإما أن يكون قد نشلها منِّي بعض الرجال المجهولين.

وبدا الوجوم على وجوه الأصدقاء ... وأحسُّوا بالرهبة أمام ما حدث ... ثم قال عاطف: يبدو أن هذه الخريطة لها أجنحة، فهي تَنتقِل من إنسان إلى آخر بسرعة!

تختخ: أرجِّح أنها نُشِلت؛ فقد كان هناك رجال في الأتوبيس يُحيطون بي بطريقة غير عادية ... وقد كان من واجبي أن أتنبَّه إلى أنهم يُحاولون نشلي، ولكني لم أتبيَّن هذا إلا بعد أن عُدت إلى البيت وبحثتُ عن الخريطة فلم أجدها.

محب: إنَّ الخريطة لم تَعُد تُهمني كثيرًا، فنحن نَعرف كلَّ ما فيها.

نوسة: هذا صحيح ... وإن كان وقوعها في يد هؤلاء الرجال المجهولين يجعلهم يسبقوننا في العثور على الكنز.

عاطف: هناك فائدة واحدة على الأقل من نشلِ الخريطة ... إنَّ هذا يعني أنها شيء هام، وأن الكنز أو الشيء المدفون قرب «أبو الهول» شيء ثمين.

تختخ: معك حق؛ فإنني كدتُ أشكُّ في أهمية هذه الخريطة هذا الصباح، ولكنَّنا الآن مُتأكِّدون من أهميتها.

نوسة: والسؤال التقليدي لنا ... ماذا نفعل الآن؟

تختخ: نتصل بالمفتش «سامي».

ووافق الأصدقاء جميعًا على الاقتراح، واتصل «تختخ» بالمفتش «سامي» تليفونيًّا، فلم يجده في المكتب، ولكنه لحسن الحظ وجده في المنزل.

قال تختخ: إن عندنا قصة طويلة نريد أن نرويها لك ... ومن الصعب أن نرويها تليفونيًّا، فهل في إمكانك أن تَحضُر الآن؟

المفتش: وحول أي شيء تدور القصة؟

تختخ: حول كنز مدفون قرب «أبو الهول».

المفتش: وهل هذا زمن الكنوز المدفونة؟

تختخ: لعلَّه ليس كنزًا بالمعنى الصحيح، ولكنه على كل حال شيء هام تدور حوله معركة عنيفة بين مجموعتين من الناس!

المفتش: للأسف إنني مرتبط بعشاءٍ الليلة في فندق شيراتون، كما أن عندي عددًا آخرَ من المواعيد، ولن أستطيع الحضور.

تختخ: فليَكُن موعدنا غدًا صباحًا.

المفتش: في العاشرة تمامًا سأمرُّ بك في البيت.

جلس الأصدقاء يتحدثون، وقد أنعشهم وعد المفتش بالحضور بعد صدمتهم بفقد «الخريطة» ... قالت «نوسة»: إنَّ نشل الخريطة يعني شيئًا آخر ... هو أن «رياض» أو «سيد حسونة» كما هو اسمه الأصلي لم يَعترِف لخاطِفيه بمكان الكنز، وهو بالطبع يحفظ الخريطة.

تختخ: معقول جدًّا.

لوزة: إذا لم يكن قد اعترف، فلماذا جاءت العصابة إلى منطقة الهرم؟

عاطف: لا بد أنهم جاءوا للنزهة في هذا الصباح المشرق!

نوسة: ألا تكفُّ عن مزاحك في وقت الجِد!

عاطف: وهل هناك مانع من أن يتنزَّهوا في منطقة الهرم؟ لقد كان هناك عدد كبير من المتنزهين ... فلماذا لا يكون أفراد العصابة قد ذهبوا للنزهة؟

تختخ: هناك احتمالان لحضور العصابة ... الأول أن أفرادها يعلمون أن الكنز مدفون في منطقة الأهرام، ولكنهم لا يعرفون المكان بالتأكيد ... والثاني أن يكون «سيد حسونة» قد اعترف لهم بأنه مدفون هناك، ولكنه لا يَعرف مكانه بالتحديد.

نوسة: فعلًا ... ليس هناك احتمال ثالث ... إلا إذا كانوا قد ذهبوا إلى هناك بطريق المصادفة.

محب: إنَّها مصادفة بعيدة جدًّا. المهم أنهم حصلوا على الخريطة، وسوف يبحثون عن الكنز قبلنا، وهكذا يصبح هذا اللغز مجرد ذكرى بدون حلٍّ.

تختخ: قد يحدث هذا فعلًا ... ولكني أعتقد أنهم سينتظرون قليلًا ... فإنهم بالطبع يتوقَّعون أننا سنكشف ضياع الخريطة، ونعود إلى البحث في منطقة الهرم ... وقد نحاول أيضًا الحفر في المنطقة التي حدَّدناها؛ فنحن نعرف المكان أيضًا!

وسكت «تختخ» قليلًا ثم عاد يقول: سنعرف الحقيقة عندما نذهب مرة أخرى إلى هناك، فقد وضعت حجرًا في المكان الذي أتصوَّر أنه مكان الكنز ... فإذا وجدنا الحجر في مكانه فهذا يَعني في الغالب أن العصابة لم تبدأ البحث بعد.

في هذه اللحظة دقَّ جرس التليفون ... ورفع «تختخ» السماعة وسمع صوتًا يقول: هل هذا منزل «خليل توفيق»؟

تختخ: نعم ... مَن تريد؟

الصوت: أُريد «توفيقًا».

تختخ: إنني «توفيق».

الصوت: لقد تبعَك أحد رجالنا في الأتوبيس بعد أن حصلنا على الخريطة منك، وعرفنا عنوان منزلك واسمك، وكل شيء عنك ... ونحن نَنصحُك أن تبتعد أنت وهؤلاء الأولاد عنَّا ... وإلَّا! ...

تختخ: وإلَّا ماذا؟

الصوت: وإلَّا ندمت طول حياتك ... إن بقي لك حياة تندم فيها.

ووضع صاحب الصوت السماعة ... ونظر «تختخ» إلى الأصدقاء وعلى وجهه سيماء الجِد والخطورة والاهتمام.

مع الخطر وجهًا لوجه

لاحظ الأصدقاء جميعًا أن المكالمة لم تكن عادية، وأن «تختخ» تغيَّر كثيرًا في أثناء الحديث فقالت «لوزة»: ماذا حدث؟ … إن شكلك تغيَّر كثيرًا يا «تختخ»!

ردَّ «تختخ» بهدوء: لقد دخلنا في الجِد … فقد أنذرتني العصابة الآن ألَّا أتدخَّل في موضوع الكنز … ومن الواضح الآن … بل من المؤكَّد أن المسألة ليست لعبًا كما تصوَّرت للحظات … إنها مسألة على جانب كبير من الأهمية، وإلَّا لما أنذرتني العصابة بهذه الطريقة.

عاطف: سنتحدَّاهم … فإننا لا نخاف أحدًا!

تختخ: بدون تحديات أو غيرها … يجب أن نكون على حذرٍ من الآن، وكما نصحَنا المفتش «سامي» مرة قبل الآن … علينا ألَّا نَفترق … وألَّا يسير واحد وحدَه … وأن يكون بعضنا على اتصال دائم ببعض.

نوسة: على كل حال سوف يأتي المفتش غدًا … ونطرح القضية كلَّها أمامه … وسنستمع إلى نصيحته.

محب: المشكلة أن الدليل الوحيد الذي كان بيدنا، والذي يدل على أنَّ المسألة حقيقة وليست مجرد خيال، قد ضاع منَّا.

لوزة: المفتِّش سيُصدِّقنا على كل حال!

تختخ: سأخرج معكم الآن لأوصلكم.

نوسة: وتعود وحدك؟

تختخ: لا تخافي … سآخذ معي «زنجر»، وهو حماية كافية.

خرج الأصدقاء جميعًا من منزل «تختخ»، وكان ليل الشتاء الثقيل قد أرخى سدوله على الكون، وكان الجو باردًا، لكن بلا مطر. ساروا معًا يتحدثون. و«زنجر» يمشي خلفهم … كانوا جميعًا يُفكرون في إنذار العصابة … هل العصابة جادةٌ في هذا الإنذار … أو

هو مجرد تهويش؟! وماذا تفعل العصابة إذا تأكَّدَت أنهم سيستمرون في مغامرتهم … ووصلوا إلى منزل «عاطف» و«لوزة»، فدخلا، ثم أكمل «تختخ» توصيل «نوسة» و«محب»، وأصبح وحيدًا هو و«زنجر»، وكأنما أحسَّ «زنجر» أنهما أصبح وحدهما فتقدم يسير بجوار «تختخ»، وكأنه يقول له: أنا هنا.

أخذ «تختخ» يُفكر في اللغز … وفي الكنز … وفي الساق الخشبية … وتذكَّر القطط المحبوسة في شقة «سيد حسونة» وشعر بأسف عميق لأنها قد تكون حتى الآن محبوسة جائعة … وقرَّر أن يتصل ﺑ «نوسة» تليفونيًّا بعد عودته إلى البيت، لتتصل بصديقتها التي تسكن العمارة التي بها القطط لتعرف مصيرها …

كان «تختخ» مستغرقًا في أفكاره تمامًا … فلم يلحظ أن رجلَين كانا يتبعانه عن قرب، وانتهزا فرصة دخوله أحد الشوارع المظلمة، ثم تقدَّما سريعًا منه، وأحاطا به من اليمين والشمال …

أحس «تختخ» فجأةً أنه محاصَر … ونبَّهه «زنجر» بزمجرة قوية، ولكن بعد أن مدَّ كلٌّ من الرجلين يده وأمسك بذراع «تختخ»، وسمع أحدهما يقول: انظر أمامك وسِرْ معنا … إننا لا نَقصِد بك شرًّا إلا إذا قاوَمْتنا. نفَّذَ «تختخ» التعليمات، ثم قال: ماذا تُريدان منِّي؟

الرجل: كيف عثرت على الخريطة؟

أخذ «تختخ» يُفكِّر في إجابة مناسبة، وفي النهاية قال: لقد عثرتْ عليها إحدى زميلاتي في الشارع!

الرجل: وماذا تعني «الخريطة» بالنسبة لكم؟

تظاهر «تختخ» بالغباء، وقال: ماذا تقصد؟

الرجل: أقصد ماذا فهمتُم من الخريطة … ولماذا ذهبتم إلى الهرم، وأخذتم تقيسون الأرض بجوار «أبو الهول»؟

تختخ: وماذا يُهمك أنت من كل هذا؟

فلم يُجِب الرجل، ولكنه ضغط على ذراع «تختخ» بقسوة، وقال: إنك لا توجِّه أسئلة، نحن الذين نوجِّه الأسئلة، وعليك أن تجيب فقط!

تختخ: ولكنَّ هناك سؤالًا ضروريًّا: أين تذهب بي؟

الرجل: ستسير معنا إلى مكان قريب … ونَنصحُك ألا تقاوم!

تختخ: وبعد ذلك؟

الرجل: بعد أن تعدَنا ألا تُطْلعَ أحدًا على سِرِّنا، نُطلق سراحك!

تختخ: وماذا تريدان مني ... لقد قلت لكما كلَّ ما أعرف؟

الرجل: هل تظن أننا صدقناك ... وهل تظنُّ أننا أغبياء لنُصدِّق أنكم وجدتم الخريطة في الشارع؟

تختخ: هذه هي الحقيقة.

الرجل: سنَعرف الحقيقة حالًا!

عاد «زنجر» يُزمجر ... وقد ضايقه وجود هذين الرجلين، ولكنه وجد «تختخ» يسير معهما في هدوء فلم يشأ أن يتدخَّل.

عاد «تختخ» يسأل: وهل المكان الذي سنذهب إليه خارج المعادي؟

الرجل: إنه على بُعدِ خطوات من هنا ... ولكن مُرْ كلبك هذا أن ينصرف الآن.

كان «تختخ» يحس بالأمان في وجود «زنجر» ... فهو يعرف بسالته وشجاعته ... فماذا يفعل؟ أخذ يُفكِّر بسرعة ... واستهوته المغامرة والجو ... والليل ... وقُرْبه من العصابة، فقرَّر أن يطلب من «زنجر» الانصراف، ويُلقِي بنفسِه في قلب المغامرة.

توقَّف «تختخ» ثمَّ قال لـ «زنجر» وهو يَنحني إليه برغم إمساك الرجلين به: عُد الآن إلى البيت!

فَهِم «زنجر» المطلوب فورًا، ولكنَّه تكاسَلَ قليلًا لعلَّ صاحبَه يرجع في كلامه، غير أن «تختخ» قال: عُد إلى البيت ولا تقف.

هزَّ «زنجر» ذيله ثم انصرف ... كان أَسودَ كقطعة من الليل فلم يرَه أحد وهو ينصرف ... ولا علم أحد إلى أين ذهب.

لم يبتعد الثلاثة كثيرًا؛ فبعد أن انحرفوا في شارعٍ ضيِّق ساروا قليلًا ثم دخلوا عمارة ... وتذكَّر «تختخ» «أمينة» صديقة «نوسة» ... إنها تسكن في هذه العمارة ... إذن فهم ذاهبون إلى شقة «سيد حسونة» أو «رياض» ... الشقة التي بها القطط ... ولا بد أن «سيد حسونة» هناك ... وأحسَّ بقلبه يدقُّ سريعًا ... إنه مُقبل على مغامرة هائلة!

صدَقت ظنون «تختخ» كلها ... فقد صعدوا إلى سطح العمارة، ثم دقَّ أحد الرجلين الباب دقةً خاصة، وسرعان ما فُتح الباب ... ودخل الثلاثة ... كان الضوء في الشقة قويًّا آذى عينَي «تختخ» لأول وهلة، ثم بدأت عيناه تألفان الضوء ... وسرعان ما رأى القطط «السيامي» تقفز هنا وهناك ... وأدرك أن استنتاجاته كلها كانت صحيحة.

وكان ثمَّة رجل يقف في وسط الصالة ... ورجل آخر يجلس على مقعدٍ وعلى ذراعه قطة يداعبها ... وأيقن «تختخ» أن الجالس هذا لا بد أن يكون «سيد حسونة»، ونظر إلى ساقه ... كان واضحًا أنها ساق صناعية ... الساق الخشبية!

التقت عينا «تختخ» بعينَي «سيد حسونة»، كان رجلًا شاحب اللون أنيقًا. ثم حوَّل «تختخ» عينَيه إلى الثلاثة الآخرين ... كانوا جميعًا من نوع مختلف ... أشرار تبدو عليهم علامات القوة والوحشية، وقد لوَّحت وجوههم الشمس مما يدلُّ على أنهم يعملون في العراء.

قال أحدهم موجِّهًا الكلام إلى «تختخ»، ومشيرًا إلى «حسونة»: هل تعرف هذا الرجل؟

عاود «تختخ» النظر إلى «حسونة» والتقت عيونهما مرة أخرى، وردَّ في صدق: هذه أولُ مرةٍ أراه فيها.

أحسَّ «تختخ» بيد الرجل تُمسِك بذراعه وتعتصرها، وسمع صوته يقول: قُل الحقيقة، فلن تستطيع الإنكار طويلًا.

تختخ: لقد قلت لك الحقيقة.

وجَّه الرجل حديثه إلى «حسونة»، وسأله: هل تعرف هذا الولد؟

قال «حسونة» بصوتٍ هادئ واثق: كما أنه لم يَرني من قبل؛ فأنا لم أرَه قبل الآن!

قال الرجل بخشونة: إنه الولد الذي وجَدْنا معه الخريطة، فكيف وصلت إليه؟

حسونة: كما قلت لك مائة مرة، إنها سقطت منِّي دون أن أدري، ولعله وجدها هنا أو هناك.

رجل: إذن فأنتما لم تَشترِكا معًا في البحث عن ...

وقبل أن يتمَّ جملته قال الرجل الذي كان يَحرس «حسونة» — وكان واضحًا أنه زعيم العصابة — يكفي هذا ... إن ما يهمنا هو ألا تكون الشُّرطة قد علمت بشيء، أمَّا «حسونة» وهذا الولد، فمن السهل التخلُّص منهما، ثم نَذهب للبحث عن ...

ومرة أخرى صمت، فقال «تختخ»: ما هو الشيء الذي تبحثُون عنه؟

لم يردَّ أحد ... ثم قال رئيس العصابة: إنه نفس الشيء الذي تبحثُ عنه أنت ... ألا تَعرِف ما تبحث عنه؟

تختخ: الحقيقة أنني لا أعرف!

زعيم العصابة: هذا أفضَل لك ولنا.

قال أحد الرجلين: يجب ألا نضيع وقتًا أكثر من هذا ... إن معنا الخريطة، وعلينا أن نبدأ الحفر فورًا قبل أن تتدخَّل الشرطة.

سأل الرجل الآخر: وماذا نَفعل بـ «حسونة»، وهذا الولد؟

ساد الصمت فترة، وكان من الواضح أن الثلاثة يُحاولون البحث عن طريقةٍ للتخلص من «حسونة» و«تختخ». ثم قال الزعيم: إنني أفضِّل الاحتفاظَ بـ «حسونة» حيًّا حتى نجد

ما نبحث عنه ... فقد يكون في الأمر خدعة ... لهذا نشدُّ وثاقه في مقعد، وكذلك هذا الولد، ثم نعود لهما بعد أن نعثر على ... وسكت قبل أن يُتمَّ جملته، ثم عاد يقول: فإذا لم نجدْه ... فمعنى هذا أن «حسونة» خدعنا ... وعلينا أن نَجعله يعترف.

أسرع الرجلان الآخران بإحضار بعض الحبال، وشدَّا وثاق «حسونة» إلى كرسيِّه، وكذلك فعلا بـ «تختخ»، وكمَّما فمَ كلٍّ منهما تكميمًا مُحكمًا حتى لا يصيحا في طلب النجدة، ثم قال زعيم العصابة، وهم يتَّجهون إلى الباب، موجِّهًا كلامه إلى «حسونة»: إذا لم نجد الشيء الذي تَعرفه، فسوف نعود لك ... وحذارِ أن تكون قد ضحكت علينا.

نظر «تختخ» إلى عيني «حسونة» فوجدهما تبرقان في ثِقة برغم الموقف الحرج الخطير ... ثم التفت إلى الرجال الثلاثة فوجدهم يتحدثون في ركن «الصالة» حديثًا خافتًا، ثم أغلقوا الباب وانصرفوا.

نسيَ الرجال الثلاثة أن يطفئوا النور ... فأحس «تختخ» ببعض الراحة، وأخذ يتلفت حوله بحثًا عن حلٍّ لهذا الموقف ... كانت الشقة مقلوبة رأسًا على عقب، مما يدلُّ على أن الرجال الثلاثة قد فتَّشوها تفتيشًا دقيقًا ... وكانت القطط تجري هنا وهناك تلعب وتموء لا تعرف الذي حدث ... ثم نظر «تختخ» إلى «حسونة» فوجَدَه ينظر إليه ... وبرغم الكمامة التي كانت تُخفي فمه أحس «تختخ» أنه يبتسم، وأدهشه أن يبتسم في هذا الموقف المزعج ... وكان واضحًا أن «حسونة» قد استعدَّ لهذه اللحظة ... فأخذ «تختخ» يراقبه ليرى ماذا يفعل. وسرعان ما وجده يبدأ مُحاولةً للتحرُّك بكرسيه ... لقد كان مربوط الساقين إلى رِجلي المقعد الأماميتين، وذراعاه مربوطتان خلف المقعد، ولكنه بعزيمة جبَّارة بدأ يُحاول تحريك المقعد مقتربًا من «تختخ».

الأغبياء الثلاثة

كان «حسونة» يقوم بجهد جبار، وهو ينظر إلى «تختخ» كأنه يحاول أن يقول له شيئًا، وكان يهز رأسه ... وسرعان ما أدرك «تختخ» ما يُريده «حسونة». لقد كان يُحاول أن يصل بكرسيِّه خلف «تختخ» بحيث يكون ظهر كلٍّ منهما ملتصقًا بالآخر ... وفي هذه الحالة قد يتمكَّن أحدهما بأصابعه أن يفك وثاق الثاني ... لقد كانت خطة بارعة تدلُّ على عبقرية «حسونة» وسرعة بديهته وثقته بنفسه.

وبدأ «تختخ» يحاول ما يحاوله «حسونة» ويُحرِّك كرسيه ... كان مجهودًا عنيفًا سال له عَرقه برغم البرد ... وأخذ الكرسيان يقتربان شيئًا فشيئًا، ولم يَمضِ ربع ساعة حتَّى أصبح ظهرهما ملتصقين.

مدَّ «تختخ» أصابعه على آخرها، لكنه لم يستطِع الوصول إلى يدَي «حسونة»، وهكذا أخذا يحاولان الالتصاقَ أكثر حتى تمكنا في النهاية من وصول أصابع كلٍّ منهما إلى أصابع الآخر، ولكنَّ ذراعَي «تختخ» كانتا أقصر، فكانت أصابعه أقرب إلى عقدة الحبل ... فأخذ يعمل بكل قوَّتِه لحلِّ العقدة ... كان يتصوَّر أنها مهمة سهلة ... ولكن المسألة لم تكن بهذه البساطة ... لقد كانت العقدة قوية ... وأصابعه مقيدة بحركة محدودة ... وأحسَّ بعد فترة من المحاولة أن أطراف أصابعه تؤلمه ... ولكنه استمر ... وشيئًا فشيئًا بدأت العقدة تلين ... وكان «حسونة» من ناحية أخرى يحاول فرد يديه ... وبعد نصف ساعة تقريبًا من المحاوَلة استسلمت العقدة لأصابع «تختخ» وأصبحت يدا «حسونة» طليقتين.

أحسَّ «تختخ» بحركة «حسونة» وهو يفك بقية قيوده، وبعد لحظات سمعه يقوم ويستدير ويقف أمامه ... أخذ «تختخ» ينظر إليه في انتظارِ ما يفعل ... لقد فكَّ «تختخ» وثاقه ... وجاء الدور عليه ليفعل مثله ... ولكن «حسونة» لم يفعل، وأحسَّ «تختخ» بالقلق

... هل يتركه «حسونة» في مكانه ويهرب؟! وماذا يفعل في هذه الحالة؟ لقد كان مخطئًا إذ بدأ هو يفكُّ وثاق «حسونة» وكان يجب أن يتركه يبدأ هو أولًا.

تمطَّى «حسونة» في ارتياح وابتسم، ثم قال لـ «تختخ»: ماذا تتصوَّر أن أفعل بك؟

لم يردَّ «تختخ» طبعًا؛ فقد كان فمه مكممًا. واستمر «حسونة» في حديثه: لقد قمتَ بإنقاذي حقًّا ... لكن ...

وأحسَّ «تختخ» بقلبه يكاد يسقط بين قدمَيه ... لقد خدعه «حسونة»!

كانت القطط قد التفَّت حول الرجل ... فأخذ يُداعبها سعيدًا ... ثم اتجه إلى المطبخ، وغاب فترة وعاد يحمل لها بعض الطعام، وجلس يُشرف على غذائها في هدوء.

دهش «تختخ» كثيرًا ... فقد تصوَّر أن «حسونة» سوف يُسرع خلف العصابة قبل أن تحصل على الشيء الذي تصارعُوا طويلًا من أجله، لكن «حسونة» كان يجلس يداعب قططه ويناولها الطعام، وكأنه رجل يقضي سهرة هادئة في منزله، وليس رجلًا كان قريبًا من الموت منذ ساعة.

وكأنما كان «حسونة» يقرأ أفكار «تختخ» فقال: إنك مُندهِش طبعًا لما أفعل، ولعلك تتساءل لماذا لا أسرع خلف العصابة في محاولة للاستيلاء على عِقد الملكة.

كانت هذه أول مرة يَسمَع فيها «تختخ» هذه الجملة ... عِقد الملكة! ... إذن فالشيء الذي يتصارعون عليه هو عِقد ملكة من المَلِكات ... لكن أي مَلِكة؟ كان يودُّ أن يسأل ... وكيف يسأل وهو مكمَّم؟! فأخذ يهز رأسه وينظر إلى «حسونة» في ضيق، فقال هذا: سأفكُّ لك هذه الكمامة التي على فمك إذا وعدتني بشرفك أنك لن تُحاول الصياح.

لم يكن أمام «تختخ» خيار، فأحنى رأسه بما يَعني الموافقة، فتقدَّم «حسونة» منه وفك الكمامة، وأحس «تختخ» براحةٍ لم يشعر بمثلها في حياته ... وأخذ يتنفس بعمق، ثم قال: لماذا لا تفك وثاقي كما فككت وثاقك؟ ... ردَّ «حسونة» في هدوء: آسفٌ جدًّا ... في الواقع أنك ولد ذكيٌّ شُجاع ... وقد فهمتَ إشاراتي، وقمتَ بعملك جيدًا، لكن الظروف تختلف ... لقد حصلت على الشيء الذي قضيتُ السنوات أعمل من أجله، ولست على استعداد لإضاعته.

تختخ: ولكنهم سوف يعثرون على العِقد هناك!

ضحك «حسونة» لأول مرة بصوت مرتفع، ثم قال: هؤلاء الأغبياء الثلاثة! هل تُصدِّق أنني أتركهم يحصلون على عِقد المَلِكة بهذه البساطة؟!

تختخ: إن الخريطة معهم!

حسونة: الخريطة معهم ... لكن العِقد ليس هناك ... لقد حصلت عليه منذ مدة، وأخفيتُه في مكانٍ لا يمكن أن يصلوا إليه ... مكان ليست له خريطة، ولا يعرفه سواي.

تختخ: وأين هذا المكان؟

ضحك «حسونة» مرة أخرى، وقال: وهل تظنُّ أنني أبله حتى أقول لك ...؟ لقد أخفيته حيث لا يعلم أحد ... ولا يتصوَّر أحد، ونظر «حسونة» في ساعته، ثم قال: سأترُكُك بعد ربع ساعة ... وبعد نحو ساعة سأكون قد غادرتُ مصر كلَّها ... إلى حيث لا يجدني أحد. وحيث أعيش حياتي كما تمنَّيت دائمًا أن أعيش.

تختخ: وهل تتركني مقيدًا؟

حسونة: آسفٌ جدًّا ... فلا أستطيع أن أتركك مقيدًا فقط، ولكني سوف أُكمِّم فمك أيضًا، غير أني أعدك أن أجد وسيلة لإنقاذِكَ غدًا أو بعد غدٍ ... بعد أن أكون وصلت إلى حيث أريد.

تختخ: ماذا ستفعل بالضبط؟

حسونة: سأرسل برقية إلى الشرطة.

تختخ: ولكنَّ العصابة ستصل بعد ساعات.

قال «حسونة» مبتسمًا: آه ... لقد نسيتُ حقًّا ... لكن العصابة لن تصل إلى هنا مطلقًا، فسوف أتحدث تليفونيًّا من الطريق إلى رجال الشرطة، للقبض على أفرادها، لقيامِهم بالحفر في منطقة ممنوعة، كما أنهم مجرمون مطلوبون في قضايا أخرى.

صمت «حسونة»، فعاد «تختخ» يسأل: ما دمتَ قد اطمأننتَ إلى خطتك، وإلى أنني لن أستطيع أن أفعل شيئًا، فلماذا لا تقول لي القصة كلها؟

قال «حسونة»: فعلًا ... لا مانعَ أن أَرويَ لك القصة كلَّها ... إذا قلت لي كيف عثرتم على الخريطة ... وماذا فعلتم بالضبط؟

وروى «تختخ» لـ «حسونة» كيف عثرت «نوسة» على الخريطة، وكيف حلُّوا لغز اسم «بوحول»، ثم ذهابهم إلى منطقة الأهرام، وكيف كانوا سيبدءون الحفر، لولا أنه وجد ألا فائدة من الحفر بفأس صغيرة ... ثم كيف استطاعت العصابة نشل الخريطة منه في الأتوبيس، ومراقبة منزله، والمكالمة التهديدية، ثم اصطحاب الرجلين له من الشارع.

شيء واحد أخفاه «تختخ» هو كلبه «زنجر»، كما أخفى عنه أيضًا أنه اتَّصلَ بالمفتش «سامي»، حتى لا يثير فزعه.

حسونة: إنكم أولاد أذكياء حقًّا وشُجعان ... وأفضل عشرات المرات من هؤلاء الأغبياء الثلاثة!

سكت «حسونة» قليلًا، وأخذ يستمع ... وكانت هناك نقرات على السطح ... هل عاد رجال العصابة بهذه السرعة؟ ... هكذا كان يُفكر «حسونة» أما «تختخ» فقد تصوَّر أن الأصدقاء قد حضروا.

لكنَّ الاثنين كانا مخطئين ... لقد كانت هذه نقرات المطر ... فقد هبَّت عاصفة رعدية أخذت تزمجر في السماء ثم انهمر المطر، وابتسم «حسونة» وهو يُداعب إحدى القطط، ثم قال: إنَّهم كما أتوقَّع لن يعودوا قبل الفجر ... فأمامهم عمل كثير.

قال «تختخ»: والآن ... هل تَروي لي القصة؟

حسونة: سأرويها لك ... فقد أنقذتَني، وهي في نفس الوقت قصة شيقة نقضي معها الدقائق الباقية ... وترويها لأصدقائك ولرجال الشرطة أيضًا إذا أحببت.

سكت «حسونة» لحظات ثم عاد يقول: تعود قصة هذا العِقد الملكي إلى أربعة أعوام مضت، وكنت أنا وصديقي «عبد الغفور قابيل» نعمل بالبحث عن الآثار ... وقرأنا قصة الملكة «حتب-حرس» زوجة الملك «سنفرو» وأم الملك «خوفو» باني الهرم الأكبر ... لقد كانت حُجرة دفنها التي عثر عليها الأثريُّون عام ١٩٢٥م من الحجرات القليلة التي وُجدت كاملة الآثار ... ومع ذلك لم يجدُوا بها جثة الملكة ... فقد سرقها اللصوص ... ولم يعلم الملك «خوفو» بسرقة جثَّةِ أمه ... بل علم أن اللصوص سرقوا حليَّها فقط ... وهكذا أعاد دفن تابوتها قرب الهرم الأكبر دون الإشارة إلى مكانها، وظللتُ أنا وصديقي «عبد الغفور» نبحث عن الجثة التي لا بد أن اللصوص قد أعادوا دفنها حتى لا تحلَّ بهم اللعنة، كما كانوا يعتقدون في ذلك التاريخ البعيد ... كنا نتبادل الحفر، ومعنا هؤلاء الثلاثة الذين رأيتهم الآن ...

وسكت «حسونة» لحظات كأنما يتذكر كلَّ ما مضى ثم عاد يقول: وذات يوم أبلغني «عبد الغفور» أنه لن يُكملَ الحفر؛ فقد أصابه اليأس ... وحاولت إقناع العمال الثلاثة بالاشتراك معي، ولكنهم رفضوا ... وكان واضحًا أنهم متَّفقُون مع صديقي على شيءٍ ما ... وسرعان ما عرفت من أحدهم أن «عبد الغفور» قد عثر على عِقد من عقود الملكة ... وأنه أراد أن يحتفظ به لنفسه دون أن يخطرني ... لقد اختلفوا معه، فاستعانوا بي. وعندما فاتحت «عبد الغفور» في هذا أنكر تمامًا ... وذات يوم كنا نركب في سيارته معًا ... عندما صدمتنا سيارة مُسرعة ... ولا أدري أكانت الحادثة مدبَّرة أم لا، ونُقلنا معًا إلى مستشفَى

أم المصريين ... كانت إصابته بالغة ... أما أنا فقد اضطرَّ الأطباء إلى بتر ساقي حفظًا على حياتي.

وعاود «حسونة» الصمت، ثم عاد يقول: كنَّا معًا في غرفة واحدة ... وكان هو في غيبوبة أكثر الوقت ... وعندما أحس بأنه سيموت أخذ يشير لي يُريد ورقة وقلمًا ... كان يُريد أن يكتب شيئًا ... وكانت أقرب ورقة لي هي ورقة المستشفى التي تُعلَّق على كل سرير ... فانتزعتها وقدَّمتها له، فأخذ يرسم ويكتب بيدٍ مرتعشة ... وأدركت أنه يريد أن يدلني على مكان العِقد.

وأظلم وجه «حسونة»، ثم قال: ومات «عبد الغفور»، وعلمَ الثلاثة بموته، وأدركوا أنه لا بد قد قال لي عن مكان العِقد أو أعطاني إياه ... وهكذا حاولوا مهاجمتي في ثياب الممرضين، ولكنهم لم ينجحوا ... وخرجت من المستشفى بعد أن شُفيت، واستعملت هذه الساق الخشبية ... وذهبت إلى مكان العِقد، وحصلت عليه، وأخفيته في مكانٍ لا يمكنهم الوصول إليه ... ولست أدري لماذا احتفظت بالخريطة ... ربما كذكرى من صديق ... وفي الليلة التي خطفوني فيها كنت قد خرجت أبحث عن قط من قططي كان كثير الهرب، وكنتُ قد رتَّبتُ أموري على أساس ترك مصر لأبدأ حياةً جديدة في بلد آخر ...

قال «تختخ»: وهل سقطت منك الخريطة عفوًا، أو أنك ألقيت بها؟

حسونة: لقد ألقيتُ بها أنا؛ فلو عثروا عليها معي، وبحثُوا عن العِقدِ حيث تُبيِّن الخريطة ولم يجدوه، فلن يتركوني حتى يعثروا عليه ... فهم على استعداد لعمل أي شيء في سبيل الوصول إلى هذا العِقد النادر.

نظر «حسونة» إلى ساعته ... ثم أسرع يكمِّم «تختخ»، وهو يقول معتذرًا: أرجو ألا تظلَّ طويلًا هكذا. لكني مُضطرٌّ ... وأرجو أن تهتم بالقطط؛ فهي قطط جميلة وغالية ...

حاول «حسونة» أن يفتح الباب، فوجده مغلقًا من الخارج بالمِفتاح، لكن الخروج من الشقة لم يكن مشكلة ... فقد كانت تتوسط السطح الواسع، ففتح إحدى النوافذ، ثم رفع ساقه الخشبية بيديه في حرص وحذر، ودلَّاها خارج النافذة ثم تبِعها بالثانية، وسرعان ما اختفى في الظلام.

عِقد الملكة

ظلَّ «تختخ» ساهمًا لحظات ينظر خلال النافذة ... كانت السماء تمطر بغزارة، والبرق والرعد يشقان السماء بالضوء والصوت ... وكانت قصة «حسونة» الغريبة تُسيطِر على تفكيره تمامًا ... عِقد الملكة أُم «خوفو»! لا بد أنه شيء عظيم القيمة، سواء من الناحية الأثرية أو المادية ... سيخرج من مصر إلى الأبد ... وهو الوحيد الذي يعلم، ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئًا! حتى لو لم يكن مكممًا، فإن صوت الرعد والمطر سيغطي على صوته ... وأحس بالتعب والضيق ... وأخذ يتصور عودة العصابة وكيف تتصرف معه وهو عاجز أمامها!

ومرَّت الدقائق بطيئة ... ولم يكن في إمكانه أن يعرف الساعة، لكن من المؤكد أن «حسونة» الآن في طريقه إلى مغادرة مصر؛ فقد مضى نحو ساعة منذ غادر الشقة ... هل يظل هكذا جالسًا مقيدًا يومًا ويومين، كما قال «حسونة»؟! أو يجد وسيلة للخلاص سواء بنفسِه أو بوساطة العصابة!

أخذ «تختخ» يكدح ذهنه في محاولةٍ للبحث عن حلٍّ ... وقد بدأ البرد يشتدُّ والتعب يهد جسمه ... والجوع يُذكِّره بأنه لم يَتعشَّ بعدُ ... ولكن كل فكرة خطرت بباله لم تكن مُمكنة التنفيذ ... وتذكَّر المآزق التي وقع فيها خلالَ مغامراته الكثيرة وأحس بالثقة ... فقد خرج من مآزق أشد، ومواقف أخطر ...

ومضى الوقت ... وبعد أكثر من ساعتين أدرك «تختخ»، وهو شديد الأسف، أن عِقد الملكة قد ضاع إلى الأبد؛ فلا بد أن «حسونة» الآن في طريقه إلى خارج البلاد ... ولا بد أنه استقلَّ الطائرة ما دام قد قال إنه رتَّب أموره ليُغادِر البلاد بهذه السرعة ... إن الطائرة الآن قرب الإسكندرية ... وبعد دقائق قليلة تكون على البحر، ولن يستطيع أحد إيقافها ... فهل من الممكن — لو استطاع الاتصال بالمفتش سامي قبل مضي ثلاث ساعات — أن يتصل

المفتش بالشرطة في الدولة التي سينزل فيها «حسونة»، ويُمكن القبض عليه في المطار! هذا إذا استطاع الخروج من هذا المأزق.

وفجأةً سمع «تختخ» وسط أصوات سقوط المطر على السطح صوت خطوات ... مَن القادم؟!

وأطل رأس أسود من النافذة المفتوحة ... ولمعت عينان ذكيَّتان وبدأ لسانٌ أحمر يتحرَّك ... إنه «زنجر»! لقد نسيَه «تختخ» تمامًا ... ونسيَ أن «زنجر» لعب أدوارًا كثيرة في مغامرات سابقة، وأثبت شجاعته وذكاءه. وخلفَ «زنجر» أطلَّ وجهٌ آخر ... وجه صديق كبير ... إنه المفتِّش «سامي» ...

شيء غير معقول ...

ما الذي جمع بين «زنجر» و«المفتش»؟

كيف استطاع «زنجر» أن يصل إلى المفتِّش؟! ثم كيف استطاع أن يصل إلى شقة السطح؟!

قفز «زنجر» وأسرع إلى صديقه يلحس وجهه ... ثم قفز المفتش «سامي» خلفه، وهو يقول: ماذا حدث؟!

ردَّ «تختخ» بعد أن فكَّ المفتش الكمامة عن فمه، وأخذ يفكُّ يدَيه: لقد حدثت أشياء كثيرة ... ولكن أهمها أن عِقد الملكة قد طار من يدينا!

قال المفتش بدهشة: عِقد الملكة ... أي ملكة؟

تختخ: الملكة «حتب-حرس» أم الملك «خوفو»!

المفتش: ما هذا الكلام الذي تقوله؟!

وروى «تختخ» للمُفتِّش في اختصار حكايةَ اللغز ... وحوادث الليلة، وسأل المفتش: هل يمكن إخطار الدولة التي ينزل بها «حسونة» لتَقبض عليه!

ظلَّ المفتش صامتًا فترة، ثم قال: إنها مشكلة سوف تستدعي بعض الوقت ... وقد يتمكن «حسونة» من الفرار قبل أن نتحرَّك ... فيجب أولًا أن نعرف على أيِّ طائرة سيطير والدولة التي ينزل فيها. ثم نعرف هل بيننا وبين هذه الدولة اتفاقية تسليم مجرمين أو لا ... ثم قد لا يكون مع «حسونة» شيء يُحاسَب عليه، فربما قد باع العقد قبل سفره ... ربما يكون قد هرَّبه منذ فترة ... وهكذا يمكن أن نتعطَّل فترة طويلة ثم لا نصل إلى شيء.

تختخ: إذن ماذا نفعل الآن؟

فكَّر المفتش لحظات، ثم قال: تعالَ نَنزل بسرعة؛ فعندي فكرة!

وأسرع الاثنان ينزلان ومعهما «زنجر» ... كانت عربة المفتش «سامي» واقفة، فركباها بسرعة، وبعد أن بدأت السير قال «تختخ»: لكنك لم تقُل لي كيف حضرت إلى المعادي، وكيف وصلت إلى مكاني؟!

المفتش: لقد اتَّصل بي شخص مجهول ... فهمتُ من كلامكَ الآن أنه «حسونة» ... وأخطر عن ثلاثة أشخاص يقومون بالحفر في منطقة الآثار، وهي منطقة ممنوع الحفر فيها إلا بإذن خاص ... ونظرًا لغرابة هذا الحادث ... فقد أخطروني في المنزل ... ولستُ أدري كيف ربطت بينهم وبين حكاية الكنز الذي حدثتني عنه تليفونيًّا، وقرَّرت أن أتصل بك في المنزل ... وفعلًا اتصلتُ فعلمتُ من الشغَّالة أنك خرجت مع بقية الأصدقاء ولم تَعُد بعدُ. وكررت الاتصال بضع مرات، ووجدت الشغالة منزعجة جدًّا ... فطمأنتها، ولكنني شخصيًّا لم أطمئن، وقررتُ الحضور ... ذهبت إلى «نوسة» و«محب»، فلم أجدك هناك، وطلبا منِّي أن يحضرا معي ... ولكني رفضت خوفًا عليهما من البرد ... وكررت المحاولة مع «عاطف» و«لوزة»، وحدث نفس ما حدث مع «محب» و«نوسة»، فعدت إلى منزلكم، وفهمت من الشغَّالة أن والديك مسافران، وأن «زنجر» كان معكم عندما خرجتم ... فذهبت إليه في بيته في الحديقة ولدهشتي وجدته هناك وهو الذي يلازمك كظلِّك، وأخذتُ أتفاهم معه بقدرِ ما استطعت، وفهِم الكلب الذكي ما أريده من مكمنه، وقادني إلى الشقة.

تختخ: لا بدَّ أنه تبِعنا بعد أن طلبت منه العودة إلى البيت، وعرف مكاني ... يا له من كلب ذكي!

واستدار «تختخ» إلى حيث كان «زنجر» يقبع في المقعد الخلفي، وربَّت على رأسه قائلًا: لك عندي أكلة شهية ونزهة طويلة.

كانت السيارة تشق طريقها بسرعة تحت المطر الغزير برغم أن الأرض كانت موحلة، ووجد «تختخ» السيارة قد وصلت إلى القاهرة ثم اتخذت طريقها إلى مصر الجديدة، فعاد يسأل المفتش: إلى أين نحن ذاهبان؟

المفتش: إلى المطار!

تختخ: وما الفائدة؟

المفتش: إنني أتوقَّع أن تكون الطائرات قد مُنعت من مغادرة المطار لسوء الأحوال الجوية ... فلا يمكن أن تغامر الشركات بالسماح لطائراتها بالطيران في هذا الجو السيئ.

انتعشت الآمال في صدر «تختخ»، وأحسَّ بالتقدير والإعجاب بالمفتش الذكي، ومضت السيارة مسرعة حتى وصلا إلى المطار.

نزلا مُسرعَين، واتَّجها إلى ضباط الشرطة في المطار الذين حيوا المفتش باحترام، وسألهم المفتش عن رجلٍ يُدعى «سيد حسونة» ووصف لهم شكله، وكيف يعرج في مشيته بساقِه الخشبية، فتذكَّروه جميعًا ... وقالوا إنه في صالة المُسافرين في انتظار إقلاع الطائرة المسافرة إلى «لندن»، والتي تأخَّرَت لسوء الأحوال الجوية.

التفت المفتش إلى «تختخ» وهو يَبتسِم، فقال «تختخ»: كما توقعت تمامًا!

دخل المفتش ومعه بعض الضباط صالة المسافرين ... كان «سيد حسونة» يجلس وحيدًا، وقد أمسك بكتاب يقرؤه ... وكم كانت مُفاجأةً له عندما أحس بيدٍ تُوضع على كتفه، وعندما التفت رأى «تختخ» فكاد يسقط على الأرض.

قال المفتش: تعالَ معنا!

استعاد «حسونة» ثباتَه وقال: لماذا؟

المفتش: بتُهمة تهريب آثار!

حسونة: آثار ... إني لا أحمل معي أية آثار!

المفتش: سنُفتِّشك!

وقام «حسونة»، واتجهوا جميعًا إلى غرفة التفتيش ... وبدأ أحد ضباط المطار المُدرَّبين يُفتِّش «حسونة»، ففتش ثيابه قطعة قطعة، ولكنَّه لم يجد شيئًا ... وطالت مدة البحث حتى أحس «تختخ» كأنه يسقط في بئر عميقة، وبخاصة أن الضباط والمفتِّش جميعًا كانوا ينظرون إليه بعد أن روى لهم موجزًا سريعًا للقصة.

وكان المطر قد توقف ... وبدأت ميكرفونات المطار تستدعي الركاب لركوب الطائرات، وارتدى «حسونة» ثيابه وهو ينظر إلى «تختخ» باستخفاف. في حين كان رأس «تختخ» يكاد يَنفجِر من فرط التفكير ... أين ذهب العِقد إذن؟ إنه كما قال له «حسونة» في مكانٍ لا يُمكن أن يصل إليه أحد بخريطة ... وهو في الوقت نفسه لا بد أن يكون مع «حسونة» فليس من المعقول أن يكون مسافرًا بدونه.

وفجأة برقت في ذهن «تختخ» فكرة هائلة ... الساق الخشبية! إنها آخر مكانٍ يتصور إنسان أن العِقد بها. إنها مكان بلا خريطة!

ومال «تختخ» على المفتِّش وسرَّ له هامسًا بفكرته، فقام المفتش واقفًا وقال لـ «حسونة»: انتظر لحظة! اجلس على هذا الكرسي.

حسونة: ماذا هناك؟ ألم يَنتهِ التفتيش؟ أريد أن ألحق بطائرتي!

المفتش: لا بأس، ما زال أمامَكَ بعض الوقت ...

وطلب المفتش من ضابط المطار أن يُفتِّش الساق ... وبرغم أن المنظر كان مؤلمًا وهم يَفكُّون الساق الخشبية، فلم يكن هناك بُدٌّ منه ... وهكذا أمسك ضابط المطار بالساق وأخذ يَفحصها ... ثم عبث بأصابعه داخلها ... ولم تستمر ملاحظته سوى لحظات ثم أخرج لفافة من القماش ... وتركزت الأنظار على أصابعه وهو يَفتحها ... وارتمى «تختخ» على أقرب مقعد ... عندما خرجت أصابع المفتش وبينها عِقد الملكةِ «حتب-حرس» زوجةِ الملك «سنفرو» وأُم «خوفو» والذي ظلَّ مدفونًا آلاف السنين!

أحنى «حسونة» رأسه في حسرة وندم، ثم نظر إلى «تختخ» وكأنه لا يُصدِّق أن هذا الولد هو الذي أوقع به، وأضاع جهوده وانتصاره على العصابة برغم أنه تركه مقيدًا في شقة على السطح لا يعرف مكانه أحد سوى العصابة التي كان من المؤكَّد أنها ستفتك به.

كانت رحلة العودة من أمتع الرحلات في حياة «تختخ». لقد انتهى كل شيء بسرعة ... بل كانت هذه أقصر مغامرة مرَّ بها ... وكان «زنجر» يجلس خلفه وقد مدَّ رأسه إلى الأمام في زهو.

وعندما اجتمع الأصدقاء في صباح اليوم التالي في حديقة «عاطف» كالمعتاد كان «زنجر» يجلس في الشمس يَلتهِم وجبة شهية ... في حين أخذ «تختخ» يروي لهم ما حدث في الليل، وكيف استطاع «زنجر» أن يُبقيَ لمصرَ عِقد مَلِكتها القديمة «حتب-حرس» زوجة الملك «سنفرو» وأُم الملك «خوفو» باني الهرم الأكبر!


هنداوي